سؤال الحرية عند محمد حسين هيكل

دكتور/ حسن أحمد محمد عبد اللطيف

قسم الفلسفة الإسلامية- كلية دار العلوم- جامعة المنيا

ملخص البحث عربي:

هذه الدراسة تحاول الإجابة عن سؤال الحرية عند محمد حسين هيكل (١٨٨٨م-١٩٥٦م)، ذلك السؤال الذي مازال يطرح نفسه حتى الآن، وخاصة في عالمنا العربي والإسلامي، وقدمت هذه الدراسة إجابات عن أسئلة كثيرة ومهمة في هذا الموضوع، وذلك من خلال كتابات الدكتور هيكل ذلك المفكر والأديب والسياسي المخضرم، والذي كان يقدّر الحرية في حياته ويلتزم بها في كتاباته، ولذلك قدّم لنا تصوّرًا عميقًا لمفهوم الحرية مستمدًا من الإسلام الذي يراعي جميع الأبعاد الإنسانية، وكان من نتيجة غياب الحرية في مصر والبلاد العربية أن جعلها هيكل القيمة الأعلى والشرط الأول للحضارة والعلم والإيمان، وكانت الحرية العقلية والفكرية هي المقصود الأهم من حديث هيكل عن الحرية، وقد أكد هيكل أن الحرية مبدأ جوهري من مبادئ الإسلام التي جعلها أساسًا لنظمه الدينية والسياسية مما ساهم في نشر الإسلام وتحقيق نهضته الحضارية وهو بذلك يدحض تهم المستشرقين وأتباعهم الذين اتهموا الإسلام بالتعصب وعدم التسامح وأنه قد انتشر بالسيف، ولكنّ المسلمين ومع مرور الزمن ولعوامل مختلفة تراجع تقديرهم لقيمة الحرية مما أدى لحدوث حالة من الجمود العقلي تراجعت معها الحضارة الإسلامية، وهذه الفترة المتأخرة هي ما استند إليه المستشرقون في اتهاماتهم، وحديثًا ازدهرت الحضارة الأوربية لاستنادها على الحرية وقد انبهر هيكل لما شاهده من حرية الشعوب الأوربية وأراد الحرية السياسية والعقلية لأبناء وطنه مصر راجيًا أن تنهض مصر وتلحق بالدول المتحضرة وهي مؤهلة لذلك.

الكلمات المفتاحية: الحرية، محمد حسين هيكل، الحرية العقلية، الإسلام، مصر الحديثة.

Abstract:

This study attempts to answer the question of freedom according to Muhammad Hussein Heikal (1888 AD-1956 AD), a question that still poses itself until now, especially in our Arab and Islamic world. This study provided answers to many important questions on this subject, through the writings of Dr. Haykal. That thinker, writer and veteran politician, who appreciated freedom in his life and committed to it in his writings, and therefore gave us a deep conception of the concept of freedom derived from Islam, which takes into account all human dimensions, and as a result of the absence of freedom in Egypt and the Arab countries that made it the structure of the highest value and the first condition of civilization, Science and faith, mental and intellectual freedom was the most important purpose of Haykal's talk about freedom, and Haykal emphasized that freedom is a fundamental principle of Islam, which he made the basis of its religious and political systems, which contributed to spreading Islam and achieving its civilized renaissance .Thus, he refutes the accusations of orientalists and their followers who accused Islam of fanaticism and intolerance and that it was spread by the sword, but Muslims, with the passage of time and various factors, their appreciation of the value of freedom declined, which led to a state of mental stagnation with which Islamic civilization declined And this late period is what orientalists based their accusations on, recently European civilization has flourished because it is based on freedom. Heikal was impressed by what he saw of the freedom of European peoples. He wanted political and mental freedom for his countrymen, Egypt, hoping that Egypt would rise and join the civilized countries, which are qualified for that.

Keywords:

Freedom, Muhammad Hussein Heikal, intellectual freedom, Islam, modern Egypt.

المقدمة:

موضوع هذا البحث يدور حول الحرية عند الدكتور محمد حسين هيكل (١٨٨٨م -١٩٥٦م)؛ ذلك لأن موضوع الحرية بالمعنى الاجتماعي والسياسي والأدبي هو الموضوع الذي شغل ولا يزال الفكر الحديث، مما يعني أن قيمة الحرية يتطلّع إليها الجميع، وكأنّ الحرية أصبحت من ضروريات الحياة الإنسانية في العصر الحديث، فلا يقبل إنسان أو مجتمع أن يحيا بدون حرية، وربما أمكننا أن نزعم أن التاريخ الحديث يبدو وكأنّه نضال من أجل الحرية، وهذا قد يدعونا لموافقة من يجعل الحرية جزءًا من الهوية الإنسانية.

وهذا البحث يحاول الكشف عن حقيقة الحرية مع بيان موقف الإسلام والمسلمين من قيمة الحرية كل ذلك من خلال كتابات محمد حسين هيكل، ذلك الأديب والمفكر الذي عاصر جهود العرب والمصريين في السعي نحو النهضة والتحرر، وكان قد سافر إلى أوربا للدراسة فانبهر بالحياة الحديثة القائمة على الحرية وعاد إلى مصر وحاول مع آخرين توطين الحرية الاجتماعية والعقلية والسياسية من خلال كتاباته وممارساته السياسية.

أهمية موضوع الدراسة:

- تتمثل أهمية هذا الموضوع في كون الحرية قيمة مركزية في حياة الإنسان قد يضحي بحياته من أجلها.
- كذلك فإن الحرية شرط أوليّ للنهضة التي نبتغيها لبلادنا منذ مطلع العصر الحديث.
- وتركز هذه الدراسة حول كتابات هيكل لكونه مفكرًا بارزًا مارس الحرية وعاش مدافعًا عنها وجاءت كتاباته معبرة عن وعي بقيمة الحرية وضرورتها الحضارية.

أسباب اختيار الموضوع:

- كانت الرغبة في الكشف عن مقدرة الفكر الإسلامي الحديث في تناول الأفكار الجديدة والحيوية من أهم الدواعي لهذه الدراسة.
- وأيضًا ندرة الدراسات التي تنبهت لكتابات محمد حسين هيكل باعتباره مفكرًا إسلاميًا اهتم بقضايا فكرية محورية.

أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة إلى توضيح المعنى الحديث للحرية وتحاول الكشف عن مدى فهم هيكل للمعنى العميق لها.
- كذلك تستهدف هذه الدراسة تحديد الجانب الأهم في الحرية والذي كان يشغل مفكرينا ومن بينهم هيكل وهل هو الحرية السياسية أم الحرية العقلية والفكرية.
- وتهدف هذه الدراسة إلى بيان الموقف الحقيقي للإسلام والمسلمين من الحرية.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في سؤال الحرية عند محمد حسين هيكل، ذلك السؤال الذي يتجدد على مر العصور، وتتعدد الإجابات له وتختلف الأفهام حوله؛ فما زالت الأسئلة تطرح حول الحرية ومفهومها وحدودها وأهميتها وما الموقف الديني منها، وتتمثل الإشكالية أيضًا في رؤية مفكرينا المسلمين لهذا السؤال والذين يمثلهم محمد حسين هيكل في هذه الدراسة، والذي كتب كثيرًا محاولًا الإجابة على تلك الأسئلة المطروحة حول الحرية، فهل يمكن أن تكون لنا هذه الإجابات رؤية متماسكة ومتكاملة للحرية؟

تساؤلات الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على بعض الأسئلة وبشكل أساسي من خلال كتابات هيكل، وهي:

١ – ما الحرية؟

٢ – لماذا الحرية؟

٣ – ما نوع الحرية التي هي المقصود الأهم عند هيكل؟

٤ – ما هو الموقف الحقيقي للإسلام والمسلمين من قيمة الحرية؟

٥ – ما حقيقة الحرية في الغرب؟

٦ – ما هي مكانة الحرية في مصر الحديثة؟

٧ – هل كان محمد حسين هيكل أديبًا وسياسيًا حرًّا؟

والله الموفق

مـــا الحـــرية؟

حسب ما قاله (مونتسكيو) فإن مفهوم ومعنى الحرية يختلف من مكـــان لمكـــان ومن زمان لزمان[١]، فكل عصر له مفهومه الخاص به عن الحرية، ذلك المفهوم الـــذي تحدده الحاجات الملحة والحقوق المهضومة والتطلعات المنشودة لأفراد من مجتمع مـــا في مكان ما في زمان ما، وهذا ما يقرره (لا لاند) في موسوعته حـــين يبـــدأ إيـــضاحه مفهوم الحرية بالمعنى القديم لها والذي كان يعني أن الإنسان الحر هـــو ذلـــك الإنـــسان الذي لا يكون عبدًا أو سجيناً أو الذي يفعل ما يشاء دون إكراه خارجي[٢]، وعنـــد (ول ديورانت) أن الحرية في الأصل كانت تدل على التحـــرر مـــن الاســـتبداد الإقطـــاعي وضرائبه[٣]، إذن هناك معنى قديم للحرية تناسب مع ذلك الزمان القديم الذي قوِي فيـــه الإقطاع والعبودية فكانت الحرية المنشودة تتمثل في العتق من الـــرق ومـــن اســـتغلال الإقطاعيين، أما حديثًا فقد زال الإقطاع والرق، وعليه فقد تغير مفهـــوم الحريـــة عنـــد الإنسان في العصر الحديث بعد أن أصبح بلا سيد سوى عقله، ونجد عند (مونتـــسكيو) تعريفا للحرية ربما هو مقصود العصور الحديثة، فالحرية عنده هي: حق صنع جميـــع ما تبيحه القوانين[٤]، لقد أصبح هناك قوانين في العصر الحديث وهي الحاكمـــة ولـــيس السيد الإقطاعي أو المستبد وهي في الغالب قوانين بشرية مـــن نتـــاج عقـــول بـــشرية وأصبح الإنسان حرًا في أن يفعل ما يريد ما دام لا يخالف هـــذه القـــوانين، والحقيقـــة الواضحة هي طغيان المعني الاجتماعي والسياسي للحرية في العصر الحـــديث علـــى المعاني الأخرى، فقد ناضل الإنسان الحديث من أجل الحصول على المزيد والمزيد من الحرية في الناحية الاجتماعية والسياسية تلك الحرية التي تعني -عنـــد (لا لانـــد)- أن يكون المرء حرًا في أن يفعل كل ما لا يمنعه القانون حرًا في أن يرفض القيام بكل مـــا لا يأمره بفعله وأن يتكلم ويكتب ويعبر عن رأيه بحريه ويكون له كل الحريات السياسة المعترف بها للفرد[٥]. هذه هي الحرية الحديثة حرية الفعل وحرية الفكـــر رأيًـــا وقولًـــا وكتابة، وتعريف مونتسكيو يوضح الحرية الفعلية أو الحرية بالمعنى العام التي تعنى أن

---

١) مونتسكيو: روح الشرائع، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، مصر١٩٥٣، ج١ ص ٢٢٤

٢) أندريه لا لاند: موسوعة لا لاند الفلسفية، (مادة حرية Liberte) تعريب أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط٢٠٠١،٢م المجلد الثاني، ص٧٢٧

٣) ول ديورانت: مباهج الفلسفة، الكتاب الثاني، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني تعريب ، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥م، بيروت - باريس، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ص١٣٣

٤) مونتسكيو: روح الشرائع، ج١، ص٢٢٦

٥) موسوعة لا لاند الفلسفية، المجلد الثاني،(مادة حرية Liberte) ص ٧٢٨

يفعل الإنسان ما يشاء مادام لا يخالف القانون، أمّا تعريف لا لاند السابق فهو جامع للحرية الفعلية والحرية العقلية أو الفكرية.

وبالنظر في كتابات هيكل نجد اهتمامًا واضحًا بالحرية وتوضيح مفهومها؛ ومن ذلك ما جاء في كتابه (الإمبراطورية الإسلامية) حيث يوضح (هيكل) مفهوم الحرية بقوله: "إنها هي ما لك من حق في أن تصنع ما تشاء ما دمت لا تؤذي غيرك ولا تعتدي على حريته"[١] وهو تعريف أوسع من تعريف (مونتسكيو) كما نلاحظ، ولكن هل معنى ذلك أن الإنسان يفعل كل ما يشتهي دون أن يؤذي غيره حتى ولو فعل الفواحش بالتراضي مع الآخرين؟ أظن أن هيكل لم يغفل ذلك فهو يبين لنا أن الحرية الحقة تفترض في الناس الطهر والبراءة[٢]، وكأنه يقول إن أفعال الأحرار العقلاء كلها أفعال خيّرة طاهرة فهم لا يشاءون الشر أو القبيح أو مخالفة القانون، لكن أين هذا المجتمع النقي الطاهر طهارة كاملة، حتما لا وجود لهذا المجتمع ولهذا يرى هيكل أن معنى الحرية المطلقة غير مفهوم وأن الحرية المطلقة غير موجودة في عالمنا الحديث[٣]، ذلك بالتأكيد لأنه لا يتوفر شرط الحرية الكاملة وهو الطهر والبراءة، لذلك كان من الأفضل أن يضاف إلى التعريف اشتراط عدم مخالفة الدين أو الضمير أو الأخلاق أو حتى الاعتدال، ولا يكتفى فقط باشتراط عدم إيذاء الآخرين، ذلك لأن مجاوزة الحد مع النفس تستتبع التجاوز مع الآخرين، ولا ينبغي أن نغري الأفراد بمثل هذه الكلام بأن يفعلوا ما يشاءون ما داموا لا يضرون الآخرين، فيجب أيضا أن لا يضروا أنفسهم أو يهدروا أوقاتهم وثرواتهم، فمثل هذه التعريفات تبدو سلبية وتنتج عنها نتائج سيئة وهي ما نراه من تعدٍ وتجاوز يدمر الفطرة الإنسانية.

ونجد عند (هيكل) تعريفا آخر للحرية حين يقول: "إن قوام حريتي ألا أريد إلا ما يوافقني أو ما أراه من غير أن يكون لشيء سواي مدخل في اختياري"[٤]، هذا تحديد يتقارب مع معنى عدم الإكراه بمعنى أنه لا يُكره الإنسان على فعل شيء دون إرادته، وأظن أن هذا المفهوم أقرب إلى الممكن من التعريف السابق، فالدولة يمكن أن لا تُكره

١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة، دار الهلال، ص٦٥

٢) هيكل: ولدي، دار المعارف، الطبعة الرابعة، ص ٢٧

٣) هيكل: جان جاك رسو حياته وكتبه، دار المعارف، ٢٠٠٩م، ص ١٦

٤) هيكل: جان جاك رسو، ص ٢١٥

الأفراد على أي فعل لكن لا يمكن أن تترك الأفراد يفعلون ما يشاءون حتى لو مع تعهدهم والتزامهم بعدم الإضرار بالغير.

ونلمس عند الدكتور هيكل عمقًا واضحًا في فهم المعنى الحقيقي للحرية حين يظهر لنا هذه الحقيقة القوية وهي أن الإيمان بالمادة خضوع والإيمان بالروح سلطان[١]، وأن الناس يشقون بالحياة حين يذلون لماديتها بدل السمو بروحهم عليها[٢]، بهذا يتضح أن الروح القوية هي التي تملك الحرية ولا تكون الروح قوية إلا بالتعالي على المادية، وهذا يعني أن الإنسان المادي الذي يتنكر لوجود الروح ويغرق في المادية نظريًا وعمليًا لن تتحقق له الحرية بأي حال لأنه سيظل حبيس المادة وظلاميتها، لكن هنا قد يبدو لنا شيء من التناقض عند (هيكل) ذلك لأنه يتمسك بالحتمية السببية بشكل قوي ويؤمن بالجبرية العلمية التي ترى أن الإنسان في كل أفعاله محكوم بالقوانين المادية مثله مثل بقية الموجودات بمعنى أن الإنسان مسير ومجبر وخاضع للأسباب المادية المحيطة به والمتحكمة به وتنتج عنها جميع أفعاله فهو يقول صراحة في كتابه (الإيمان والمعرفة والفلسفة) " أما رأينا فهو أن الاختيار معدوم من الوجود جملة وإنما تصرّفنا قوانين مرتبة ومصادفات واتفاقات"[٣]، وعندما اضطر للدفاع عن مزاعم المستشرقين الذين اتهموا الإسلام بالجبرية المتمثلة في عقيدة القضاء والقدر والتي هي سبب تخلف المسلمين في رأيهم كان مما جادل به أن العلم نفسه يتبنى الجبرية وزعم هيكل أن الإسلام به مثل هذه الجبرية العلمية ولكن الإسلام يمتاز بأنه يدعو للسعي والجهاد والتوكل، ويزعم أن هذه الجبرية العلمية مضطرة لحاجة اجتماعية وليست علمية لأن تقول بأن لنا اختيارًا نسبيًا حتى يُقام التشريع ويُفرض الجزاء[٤]، والأدهى من ذلك أن (هيكل) يرى أن الروح ليست مستقلة عن الجسم بل هي نتاج تفاعل مواد الجسم[٥]! أين إذن هذه الروح التي يجعلها في مقابل المادة؟ وكيف يتوافق ذلك مع ما سبق من قوله بأن الإيمان بالروح سلطان؟ أستطيع أن أقول إذن إن تمسك هيكل بالجبرية العلمية وبأن الروح من نتاج تفاعل مواد الجسم يتناقض مع كل دعاوى الروحانية في مواضع أخرى.

---

١) هيكل: في منزل الوحي، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص ٩٧

٢) هيكل: في منزل الوحي، ٩٧

٣) هيكل: الإيمان والمعرفة والفلسفة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص١١٤

٤) هيكل: حياة محمد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة عشرة، ص٥٥٠ -٥٥١

٥) هيكل: الإيمان والمعرفة والفلسفة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٢٣

ومن الأسباب القوية التي يذكرها هيكل لوجود الحرية وتحققها في الواقع تلك الروح القومية القوية في نفوس أفراد الشعب فهي تكون سببًا للحرية ومؤدية إليها ويستدل على ذلك بما حدث في إنجلترا[١]، إن هيكل يرجع هذه الحرية الموجودة في إنجلترا إلى تعاظم الروح القومية عند الإنجليز بمعنى حبهم الشديد لبلادهم وتفانيهم في خدمتها.

ولكن في بلاد الشرق وخاصة في البلاد الإسلامية ربما تضعف تلك الروح القومية عن مثيلاتها في البلاد الغربية عندئذ يربط هيكل بين النزعة الروحية والحرية في الشرق؛ ذلك لأن المعرضين عن الدنيا هم أشد الناس تشبثًا بحرية الرأي وبالحرية الفردية وكان صحابة رسول الله هم من تلك النماذج الحرة وقد تحققت لهم الحرية لقوة إعراضهم عن الدنيا[٢]، وقد نبه اسبينوزا إلى أن الإنسان الذي تسيطر عليه شهواته هو في أدني درجات العبودية والحر هو الذي يعيش بهداية العقل وحده ولذلك فإن أكثر الدول حرية هي التي تعتمد قوانينها على العقل السليم[٣] فالإنسان عند اسبينوزا يستطيع أن يعيش حرًا في أي دولة ما دام هو نفسه يهتدي بالعقل، وهذه هي وجهة نظر هيكل الذي يؤكد أنه كلما كان الإنسان أكثر روحانية كان أكثر حرية وهنا يستعلي الإنسان بعقلانيته وروحانيته على كل القيود الخارجية لكونه استعلى على قيوده الداخلية، وهذا ما نجده عند عبدالله العروي الذي لم يجد الحرية في التاريخ الإسلامي إلا عند البدوي والتقي والصوفي[٤].

الحرية إذن تأتي من داخل الأفراد سواء لحبهم لبلادهم أو لحبهم للمثل العليا، وعلى ذلك فإن الحرية التي يمنحها الحاكم المطلق لا قيمة لها ما لم يستطع الشعب الاحتفاظ بها والدفاع عنها فلابد أن تكون الحرية متأصلة في نفوس الأفراد حينئذ تجدهم مقدسين للحرية[٥].

---

١) هيكل: ولدي،٥٩

٢) هيكل: عثمان بن عفان، دار المعارف، ص١١٢

٣) اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٥م، ص٣٧٤

٤) عبد الله العروي: مفهوم الحرية، المكتب الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٥،٢٠١٥م، ص٢٣ومابعدها

٥) هيكل: ولدي، ص٥٥

لكن هل هناك قيمة لحرية الفرد إذا كان وطنه محتلا أو ذليلا، عند هيكل لا قيمة للحرية الفردية في وطن ذليل خاضع[١] كذلك لا قيمة للحرية إذا انعدم الأمن والأمان ولذلك يتنازل الحضري عن جانب من حريته لقاء حمايته[٢].

ويظهر لنا وعي هيكل في بيانه لوسائل يتخذها البعض في القضاء على الحرية ومنها التذرع بالاعتداء والحرب فهو مما يحتج به كثيرون للحد من حرية العقيدة وحرية الرأي[٣].

وللقضاء على حرية الشعوب وإذلالها يذكر هيكل أن الربا هو من أهم المداخل لذلك فهو سبب من أسباب الاستعمار وحرمان الشعوب من حريتها[٤]، ولعله عرف ذلك من خلال التجربة المصرية حين تسبب الدين المصري وفوائده في الاحتلال البريطاني لمصر وهيكل كان خبيرًا بهذا المسألة حيث كان موضوع رسالته للدكتوراه عن الدين المصري، إذن نستطيع أن نقول إن قيام الاقتصاد على الربا يقلل من الحرية بشكل ملحوظ حيث لا يمكن أن توجد حرية عندما يغرق الناس في بحر من الديون وعندما يكون لزامًا عليهم أن يسددوا ديونهم بالكدح المتواصل[٥]، لذلك حرم الإسلام الربا وفرض الزكاة على الأغنياء ليحرر الناس من العوز والحاجة ولذلك يرى هيكل أن على الدولة تحديد حد أدنى للأجور يكفل الحياة الكريمة للناس والتي تؤدي إلى توفر البيئة الملائمة للإبداع[٦]، يتضح من ذلك تنبه هيكل كما تنبه أيضًا (نعوم تشومسكي) إلى أن الاقتصاد الرأسمالي المسيطر في الغرب كان ولا يزال لا يساعد على تحقيق الحرية بشكل صحيح نتيجة عدم المساواة التي أدت إليه حرية رأس المال حيث حقق النابهون الثروات الضخمة بينما تعيش الأغلبية في ظروف صعبة كلها كدح لطلب القوت، وعليه فلا يستفيد من الحرية إلا الأغنياء وحدهم الذين يستطيعون التعبير بصوت أعلى من غيرهم بسبب سلطتهم وثروتهم[٧].

---

١) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، دار المعارف، الطبعة الثانية، ج٢ ص ٧

٢) هيكل : حياة محمد: ص ٩٧

٣) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ١٠٩

٤) هيكل: حياة محمد ص ٥٤٠

٥) نعوم تشومسكي: غريزة الحرية، مقالات في الفلسفة والفوضوية والطبيعة البشرية، ترجمة عدي الزغبي، ط١، ٢٠١٧م، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ص٤٧

٦) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص١٠٠-١٠٢

٧) نعوم تشومسكي: غريزة الحرية، ص٥٢

كذلك يرى هيكل أن من معوقات الحرية سلطان العادة؛ فالعبودية للعادة مفسدة للفكرة الصحيحة عن الحرية في صورتها الصادقة ومفسدة لسلامة التفكير[١].

لماذا الحرية؟ (أهمية الحرية نظرة مثالية)

من يقرأ في كتابات هيكل يلاحظ وبوضوح تلك الصورة المثالية للحرية، حيث تبدو الحرية ضرورية لكل شيء ومصدرًا لكل خير، ورجاءً لكل إنسان:

- فالحرية هي قوام كل شيء في نواحي الحياة جميعًا[٢].
- ونقص الحرية هو علة العلل والسبب الأول في كل مشكلة إنسانية[٣].
- إنها أكبر نعمة عرفتها الإنسانية[٤].
- وإن الحرية هي أعز ما يملك الإنسان[٥].
- لذلك لا قيمة للحياة بدون حرية[٦].
- وهي كأنها لب الفطرة الإنسانية، حيث ترى كل العقول والقلوب أسرع ميلاً إلى الحرية[٧].

إن الحرية في حياة الجماعات الإنسانية هي أول أسس البناء فهي أثمن جوهرة في العقد الاجتماعي، إنها أساس العلاقات الدائمة، وغذاء الحياة الاجتماعية، وهي الحافز للتقدم، وهي الدافع لارتقاء الفلسفة والعلوم[٨]، وعليه فإنه لا حضارة بدون حرية فهي قاطرة الحضارة والمدنية وعليها قامت كل حضارة وبزوالها تزول الحضارات، فالحرية هي المدرسة التي تتعلم فيها الشعوب وتبلغ مدارج المجد والعظمة[٩]، وإن الحرية وحدها هي الكفيلة بانتصار الحق وبتقدم العالم نحو الكمال في وحدته العليا[١٠]، وعليه فإن وجود الحرية يولد الحضارة العظيمة وإذا عمت الحرية العالم ارتقى العالم نحو الكمال، حرية الفرد إذن ضرورية لنهوض الأمم وارتقاء الحضارة وتقدم العلوم، فلا يمكن نهوض الجماعة الإنسانية إلا إذا كفلت للفرد حريته في النشاط الذاتي[١١].

---

١) هيكل: حياة محمد، ص٥٢٨

٢) هيكل: ولدي، ص٢٢

٣) هيكل: مذكرات الشباب، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٦م، ص ٢٩٩

٤) هيكل: شرق وغرب، دار الهلال، ١٩٩٤م، ص١٩٦

٥) هيكل: في منزل الوحي، ص١١٧

٦) هيكل: أوقات الفراغ، في أوقات الفراغ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، د ت، ص٢٦

٧) هيكل: الفاروق، دار المعارف، القاهرة، الطبعة العاشرة، ج٢، ص٢٢٨

٨) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص٩٥

٩) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، ج٢، ص ٢٣٩

١٠) هيكل: حياة محمد، ص ٢٥٣

١١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص ٤١

إذن يتبين لنا أن الحرية في رأي هيكل هي الشرط الأول لوجود واستمرار وكمال الحضارة الإنسانية، وهذا ما بينه قسطنطين زريق في كتابه (في معركة الحضارة) حيث اجتهد في الكشف عن مقاييس الحضارة وأصول التحضر والتي وجدها ثمانية ثم قرر أنها ترجع كلها إلى أصل ومقياس واحد هو مقدار التحرر الذي أحرزه أبناء الحضارة[١] فهي بذلك الشرط الأول لكل إبداع حضاري.

وعند هيكل فإن النفس الحرة قادرة على كل شيء إنها قادرة على صنع المعجزات[٢] والجماعة الحرة تبني أعظم الصروح وتشيد مثل ما شاد المستبدون[٣]، ترى هنا النظرة المثالية المبالغة في مدح الحرية فهي أساس الحياة الفردية والجماعية وعليها ينبني كل رقي انساني، لكن في الوقت نفسه تقصر الجماعة الحرة عن أن تفوق المستبدين في العمران! وهنا يغفل هيكل عن حقيقة العمران فليس ما شاده المستبدون عمرانًا وإنما صروحًا لمجدهم قد مثلت شقاء للشعوب، بينما الجماعة الحرة تشيد للشعب أحلامه وتبني له مستقبله.

ويعوّل هيكل دائمًا على الحرية كمفتاح للحل وسبيل للفضيلة والخير، حيث نرى عنده أن حرية انجلترا هي السبب في قوة الأخلاق الإنجليزية[٤] وعليه فإن ما يضمن تطور المرأة إلى الخير هو أن تربى تربية حرة مطلقة الإطلاق كله[٥]!

والعقل الحر هو سبيل العلم والعلم سبيل الإيمان والإيمان هو سبيل الحياة الروحية التي لا تتمثل الكون إلا إذا كان العقل حرًا[٦]، كذلك فإن العدل القائم على الحرية الصحيحة هو أساس كل المعاني الجديرة بالتقدير[٧].

ويترتب على كل ما يصرح به هيكل من هذه القيمة الكبيرة للحرية _والتي جعلها أساسًا للعلم والإيمان والحضارة_ ما يقرره من أن الجهاد من أجل الحرية من واجبات الحياة[٨].

١) زريق: في معركة الحضارة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة١٩٨١، ص٢٧٩
٢) هيكل: مذكرات الشباب: ص ٧٥
٣) هيكل: ولدي: ص١١٠
٤) هيكل: ولدي: ٥٩
٥) هيكل: جان جاك: ص ٢٥١.
٦) هيكل: في منزل الوحي: ص٦٣٨
٧) هيكل: ولدي:٢٧
٨) هيكل: تراجم مصرية وعربية، دار المعارف، ص٣٢٤

ويتبين مما سبق أن كل الشرور ناتجة عن غياب الحرية، فإذا غابت الحرية يحدث كل شر للفرد والجماعة، ذلك لأن الإكراه إذلال للروح وتدمير للفضيلة ومثير للحروب بعكس التفاهم المبني على الحرية[١]، وفي ظل الاستبداد تنمو الأنانية[٢] وإذا حكم السيف العالم فلا خير ولا محبة ولا علم ولا إنسانية[٣].وبذلك تصبح كل حرب على الحرية تمكيناً للباطل ونشرًا لجيوش الظلام[٤].

إذن الحرية هي البداية والنهاية وهي الكل والجزء، إذا وجدت وجد كل شيء فاضل وعظيم وكامل، وإذا غابت غاب كل هذا، تلك هي النظرة المثالية للحرية عند الدكتور هيكل والتي تختزل كل ما هو أساسي وجوهري وقيمي في الحرية، ولعل ما دعاه لتلك الرؤية هو غياب الحرية في بلده في ذلك الوقت، وقد ظن أن الحرية في أوربا هي السبب الأول في تقدمها وفي حضارتها الحديثة، متأثرًا بدعاة الحرية ورواد التنوير مثل (اسبينوزا) الذي يرى أن الحرية هي الغاية الحقيقية من قيام الدولة وأن الحرية شرط أساسي لتقدم العلوم والفنون[٥] و(جون لوك) الذي يرى أن هدف الدولة هو الحفاظ على الحياة والحرية[٦]، وكذلك (جان جاك رسو) الذي كان يرى أن تنزُّل الإنسان عن حريته هو تنزُّل عن إنسانيته[٧]، وكذلك (ول ديورانت) الذي يرى أن النظام سبيل إلى الحرية وليس غاية في ذاته، وأن الحرية هي الوسط الحيوي للنمو[٨]، وكذلك تتوافق أفكار (هيكل) عن قيمة الحرية وأولويتها مع أفكار (مدحت باشا) ذلك المصلح الكبير والذي يعد أبا الدستور التركي وقد كان يرى أن الحرية هي التي تربي الأمم وتحيي النفوس وترد للمرء حقوقه وتضمن العدل، والذي كان يرى أن سبب ضعف المسلمين هو فقدانهم الحرية فمتى شعروا بحريتهم أقدموا على العمل والكسب والتعلم واستخدموا ذكاءهم لإسعاد أسرهم ومجتمعهم[٩]، إذن فقد كان (هيكل) ممثلًا لهذا التيار القوي الداعي للحرية، وكما يذكر (زكي نجيب محمود) أنه بعد مراجعته لأصحاب الفكر والقلم منذ الطهطاوي وحتى أواخر الخمسينيات ظهر بوضوح جلي أن

١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ٩٥

٢) هيكل: ولدي، ٥٩

٣) هيكل: حياة محمد، ص ٥٥٧

٤) هيكل: حياة محمد، ص ٢٣٥

٥) اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة: ترجمة حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٥، ٤٣٧، ٤٤٠

٦) جون لوك: رسالة في التسامح، ترجمة منى أبو سنة، الناشر المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ١٩٩٧م، ص٢٣

٧) رسو: العقد الاجتماعي: ترجمة عال زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٣، ص٣٢

٨) ول ديورانت: مباهج الفلسفة، الكتاب الثاني: ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، المركز القومي للترجمة،٢٠١٥، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ص ١٢٨

٩) أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص٣٥، ٤١

أكثر فكرة تم تداولها هي الحرية فما من شاعر أو أديب أو مفكر أو سياسي إلا وسيطرت على شعوره[١].

وكما يذكر (تشومسكي) أن الحرية كانت هي مادة وغاية الفلسفة في الفكر الغربي الحديث وهذا ما ساهم في ذلك التحرر للروح الإنسانية والتقدم الهائل لكل العلوم[٢].

ويمكن لنا أن نقول مع عبد الله العروي إن الليبرالي العربي يعبد الحرية باندفاع لم يَعُدْ يحس به زميله الأوربي والسبب في ذلك هو حالة المجتمع العربي الذي لم تتحقق فيه أية صورة من صور الحرية[٣]، فالحرية التي تحققت في أوربا ظهرت آثارها السلبية وهذا ما كتب حوله (إريك فروم) كتابه (الخوف من الحرية) ويتضح من العنوان أن الحرية أصبحت أمرًا مخيفًا وخطرًا، وينقل لنا صورة الفرد الغربي المتحرر بعد أن فقد بتحرره الأمان والثقة وتزعزع لديه معنى الحياة وأصبح وحيدًا منعزلًا ومهددًا من الجميع وأوجدت حرية الاقتصاد الأنانيةَ التي هي نوع من الشره وهي ملازمة للقلق[٤].

الحرية العقلية (رأيًا وفكرًا وتعبيرًا) هي المقصود الأهم عند هيكل.

أهم ما يقصده هيكل إذا تحدث عن الحرية هو الحرية العقلية، حرية الفكر والرأي والاعتقاد وحرية التعبير عن كل ذلك شفاهةً وكتابةً، وهذا هو جوهر الحرية عند الدكتور هيكل، ويرى عبدالله العروي أن الحرية كما فهمها رسو وجون ستيوارت مل وغيرهم هي التي تمسك بها هيكل وغيره من مفكري العرب المحدثين؛ تلك الحرية التي تُعنى بحرية الرأي والتأويل والابتكار ورفض الآراء المفروضة وكسر الإجماع وتأكيد سلطان الفرد على ذاته وفكره وبدنه[٥].

فالغاية من كل أحاديث هيكل عن الحرية هو الحرية العقلية حرية الفكر والاعتقاد والتعبير وهذه الحرية عنده هي الضمان لكل خير ونافع للإنسانية، وهذا واضح من تأكيده على أن قوام سعادة الإنسان هو حرية الرأي والتعبير عنه وحرية العقيدة[٦]، وأنه لن تقوم الحضارة العالمية وتزدهر إلا بأن تظل الحرية العقلية العالم

١) زكي نجيب محمود: عن الحرية أتحدث، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م، ص ٩٨
٢) نعوم تشومسكي: غريزة الحرية، ص١٨
٣) العروي: مفهوم الحرية، ص٦٧
٤) إريك فروم: الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م ص٥٨، ٩٨
٥) العروي: مفهوم الحرية، ٥٩
٦) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ١١٠

بأثره[١]، ذلك لأن الرأي الحر الذي يناضل عن نفسه هو الميدان الوحيد الكفيل بالتقدم والرخاء والحرية[٢]، وأن المظهر الأسمى لحرية الإنسان هو حرية القلم[٣]، وأن حرية الرأي هي الأساس لا أساس غيره لمن يريد معرفة الحقيقة[٤]، وعليه فإن القضاء على حرية العقل نذير تدهور الأمم[٥]، وإذا أردنا السلام والاستقرار فلابد من توطين الحرية العقلية وخاصة حرية الاعتقاد ذلك لأن حرية العقيدة هي التي تؤدي إلى الاحترام المتبادل والتسامح والمحبة مما يؤدي إلى الاستقرار والسلام[٦]، ولذلك يجب أن يتساوى المسلم واليهودي والمسيحي في الحرية وبخاصة حرية العقيدة والرأي والدعوة إليه[٧].

وإذا كنا نبحث عن الإيمان الصحيح الذي يتمكن من القلب والعقل معًا ويكون له الأثر الإيجابي في السلوك فلا مناص من الارتكاز على الحرية العقلية، لاسيما إذا عرفنا أن الحرية العقلية وحرية الفكر هي الأساس لإيمان صحيح؛ إيمان يعرف الحقيقة لا الخرافة يعرف الله لا الأنداد وهي الأساس لإنسان حر، ذلك لأن المؤمن الذي آمن بعد التفكير والتدبر لا يخضع لغير الله ويسعى دائما للمعرفة ليزداد اتصالا بالله[٨]،فإذا أردنا إنساناً حرًا لا يخضع إلا للحق ولا يبحث إلا عن الحقيقة متمسكًا بها فلابد من احترام الحرية العقلية حرية التفكير والتعبير عن الرأي، أما إذا حاصرنا العقل وقيدنا الفكر ورفضنا الرأي فنحن بذلك نوافق على انتاج أكثر من العبيد الأغبياء، وهذا الذي يجعل الطغاة يقيدون دائما حرية القلم والتعبير دائما بلا هوادة[٩].

إذن حرية الفكر هي الأساس لعالم الإنسان وبدونها لا تكون هناك حياة للإنسان ذلك لأن الحياة فكرة أولًا وآخرًا[١٠]، لذلك انتهى التطور الى إقرار دساتير حرة تقر بحرية الإنسان[١١].

في الحقيقة فإن الدعوة إلى الحرية العقلية تفكيرًا وتعبيرًا وكتابة كانت ولا زالت من الأولويات التي انشغل بها المفكرون حديثًا ولا يزالون، إن التفكير الحديث

---

١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ٩٦

٢) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية،ج١ ص ٣٤٨

٣) هيكل: ثورة الأدب، دار المعارف، القاهرة، ص ١٨

٤) هيكل: في منزل الوحي، ص٢١

٥) هيكل:الصديق أبو بكر، طبعة مدرسية مختصرة، ١٤٠٢هـ،١٩٨٢م،وزارة التربية والتعليم،ص ١٥٧

٦) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية: ٨٨

٧) هيكل: حياة محمد: ص ٢٣٥

٨) هيكل: حياة محمد: ص ٥٢٩

٩) هيكل: ثورة الأدب، ص١٧

١٠) هيكل: في منزل الوحي، ص ٥٨٨

١١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص٨٨

كله في الغرب ثم في عالمنا العربي والإسلامي جاء ناقدًا ومفندًا لما كان سائدًا في العصور السابقة خاصة تلك الأقوال التي تتبنى الخرافة وترفض التفكير العقلي وتقف في وجه العلوم الحديثة والتمدين ولا تقبل النقاش والحوار، لذلك لما تفجرت العقول الحديثة بالأفكار الجديدة الوثابة لاقت كل الرفض والقهر والتكفير حتى وصل الأمر إلى القتل، وهذا ظهر في التجربة الغربية بشكل أوضح وأضخم، وإن كانت حدته قد هدأت أيضا بشكل واضح في الوقت المعاصر نتيجة انتصار الأفكار الجديدة والتي كانت أكثر عقلانية ومناسبة لظروفها فتلقفتها جماهير الشعوب التي صارت مع الوقت شعوبًا واعية متعقلة تسعى للتحضر، بخلاف ما حدث ويحدث في عالمنا العربي والإسلامي، حيث إن جلّ الأفكار الجديدة مستوردة ومقتطعة من سياقها الغربي ويراد لها الإثمار في بيئتنا، فهي أفكار لا يقنع بها عامة الناس ولا ينشغل بالدعوة إليها إلا مستوردوها المتعجلون.

المهم أنه في بداية الحداثة وعلى طول تاريخها ظل الصراع قائمًا بين أصحاب الأفكار الجديدة وأصحاب الأفكار القديمة مما استلزم تضخيم الدعوة للحرية العقلية فظهرت كتابات سبينوزا وفولتير وجون لوك وجان جاك رسو وجون ستوارت مل وغيرهم للدفاع عن حرية التفكير والاعتقاد، فهذا اسبينوزا يكتب كتابه الشهير (رسالة في اللاهوت والسياسة) مجادلًا أن حرية التفكير ليس فيها أي ضرر على الدولة أو الدين، وأن العكس هو الصحيح حيث إن القضاء على حرية التفكير أو التفلسف قضاء على الدين والدولة معًا، ومدمر لأخلاق الشعب الذي يتعود النفاق والخداع نتيجة التسلط والاستبداد، كما أن القوانين التي تجعل حظرًا على التفكير الحر لا تهدد المجرمين وإنما تهدد الشرفاء أصحاب الشخصيات المستقلة وتمثل إساءة لهم مما يجعلهم يتحدّون السلطة ويفضلون الموت على التضحية بحريتهم وهذا يؤدي لحدوث الفتن وضعف الدولة، لذا يجب أن يكون كل فرد حرًا في تفكيره وتعبيره[1].

وكان جون ستوارت مل هو الشارح الأكبر لدعوة الحرية في كتابه المعروف (حول الحرية) الذي أكد فيه أن حرية الضمير حق مقدس، موضحًا أن مجالات الحرية التي يجب حفظها هي مجال الوعي عقيدة ورأيًا وتعبيرًا وحرية الأذواق وحرية الاجتماع، زمؤكدًا أن حرية الفكر لا تنفصل عن حرية القول والكتابة، وعليه فلا يجوز

١) اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ١٠٧، ١١٨، ٤٤٠-٤٤٤

إسكات الفرد ومنعه من إبداء رأيه ولو خالف الجميع لأنه قد يكون مصيبًا وإن كان مخطئًا اتضح الحق أكثر، ذلك لأن اختلاف الآراء هو السبيل الوحيد لتوضيح العقيدة، وبذلك تكون مخالفة الآراء السائدة حسنة ومستحبة إذا استبد الرأي العام[١].

ونتيجة لما أضحت عليه قيمة الحرية الفكرية من تمركز في جوهر الفكر الغربي زعم (حسن حنفي) أن غاية الفلسفة هي التحرر وموضوعها هو الحرية وأن في الفلسفة الغربية لا يوجد مذهب فلسفي إلا والحرية أحد مظاهره[٢].

ولكن في الحقيقة فإن حرية التعبير لم تُنل بالكتابات وحدها ذلك لأن الكلمات لا تمنع الاستبداد وإنما اكتسبتها الشعوب الغربية بالكفاح المستمر، ولكن العجيب أن الانتصارات التي سجلت لحرية التعبير غالبًا ما أُحرِزت لصالح الدفاع عن الأفكار الأكثر خسة وفظاعة[٣]، وهذه حقيقة ما زالت تثبتها الأيام فقد كثر الحديث عن حرية التعبير دفاعًا عن نشر الصور المسيئة لرسولنا الكريم، ويكثر هذه الأيام دفاعًا عن المثليين.

إذن فقد جاءت أفكار (هيكل) متوافقة مع هذا التيار الجديد الذي عمّ وشاع في العصر الحديث والذي يتمسك بحرية الفكر والتعبير ويضعها أساسًا للنهضة والتقدم والحياة الحديثة، وقد أحس هيكل أن مصر في حاجة ملحة لهذه الحرية العقلية لتنفض عنها غبار التخلف وتلحق بركب المدنية الحديثة فالتقليد كان يسود الحياة العقلية ويلفها لفًا شديدًا أحط بقدرة المصريين على النهضة وقد رأى هيكل دائمًا أن المصريين مؤهلين دائمًا للنهضة والسبق في العلوم ولكن يحتاجون تلك المساحة من الحرية الفكرية التي يجب أن توجد لتشجيع العقول على التفكير الإيجابي.

ولكن هل ثمة حدود لهذه الحرية العقلية التي قد يكون لها بعض الضرر على المجتمع، وهل في الرأي والتفكير هناك حدود يجب عدم المساس بها، يقرر هيكل القاعدة التالية: إن حرية الرأي تحتمل إذا كانت لا تضر أو تؤذي الجماعة وإلا فيجب محاربتها، وعليه فيجوز للدولة أن تمنع الآراء والأفكار التي في انتشارها فساد أخلاقي كدعوات العري والإباحية أو فيها ظلم لبعض الأفراد مثل استباحة الاتجار بالبشر أو تتسبب في تدمير الصحة والعقل ونشر الجريمة مثل تجارة المخدرات، وعلى هذا فإذا

١) جون ستيوارت مل: حول الحرية،طبعة هيئة قصور الثقافة، ٢٠١٢م، ص١٨، ٢٦، ٨٩، ٣٠،٣٣، ١١٤

٢) حسن حنفي: دراسات فلسفية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص ٤٥

٣) نعوم تشومسكي: غريزة الحرية، ص١٧٤

كان الرأي أو الفكرة تثير في المجتمع الفساد فقد وجبت محاربة هذا الرأي أو هذه الفكرة[١]، وهذا في رأي هيكل هو ما أباح للنبي صلى الله عيه وسلم محاربة الشرك والمشركين في جزيرة العرب لما كان من الشرك من مفاسد نفسية واجتماعية كبيرة، وهذا أيضًا ما استندت عليه الحضارة الحديثة في محاربة تجارة الرقيق والمخدرات وأفكار البلشفية[٢]، وهذا ما يقرره مونتسكيو من أن الحفاظ على الشعب والدولة يستلزم وضع قوانين للحد من الحريات التي قد يكون التمادي فيها خطرًا على الدولة[٣]، ورغم أن جون لوك دعا إلى التسامح مع جميع العقائد إلا أنه أكد على أنه لا يمكن التسامح مع الملحدين لأنهم لا يلقون بالًا لقسم أوعهد[٤].

لكن أكثر دعاة الحرية يرفضون أية قيود على الأفكار ما دامت أفكارًا فهذا اسبينوزا يرى أنه لا قيد على الفكر والتعبير عنه بالكلام ما دام المفكر يعتمد على العقل ولا يتعدى حدّ الكلام وتخلو نيته من الحقد والفتنة[٥].

وعند جون ستيوارت مل أنه يجب إعطاء الحرية لأي فرد في أن يعبر عن أفكاره ويدعو إليها حتى ولو خالفت الدين والأخلاق في أي مجتمع ولو كان معارضًا لعقائد الإيمان بالله واليوم الآخر أو أي خُلق مجمع عليه، وهو بذلك يرفض ما دعا إليه جون لوك من عدم التسامح مع الملحدين لكونهم لا يبالون بعهد أو قسم بل يؤكد (مل) أن كثيرًا من الملحدين شرفاء وفاضلين[٦]، ولكننا نقول إن الشرفاء والفاضلين من الملحدين هم من يكونون ذوي طبائع خيرة في الأصل وغير معوزين ولكن من يمنع الملحدين غير الخيّرين طبيعةً والمعوزين من ارتكاب أية جريمة لسد عوزهم وهذا ما أكده فولتير في كتابه (الملحد والحكيم) فرأى أنه لا بد لكي يوجد مجتمع آمن أن يعم هذا المجتمع إيمان شعبي عام بإله بصير قد وضع القانون الأخلاقي وهو يعاقب من يخالفه ويثيب من يلتزم به[٧]، إذن فإن جون ستيوارت مل يتجاهل قوة الأفكار الشاذة والتافهة التي قد تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه[٨]، وعليه فإنه يلزم أن يتروّى الإنسان قبل

١) هيكل: حياة محمد، ص ٤٧٨

٢) هيكل: حياة محمد:، ص ٤٧٨ ومابعدها

٣) مونتسكيو: روح الشرائع، ج١ ص٢٩٤

)٤ جون لوك: رسالة في التسامح، ص ٥٧

٥) اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص٤٣٧

٦) جون ستيوارت مل: حول الحرية، ٤٧-٦١

٧) ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الأخير من المجلد التاسع،٣٨، ترجمة محمد على أبودرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص٢٠٨ وما بعدها

٨) زكريا إبراهيم: مشكلة الحرية، مكتبة مصر، ١٩٧٢م، ط٣، ص٢٦١ وما بعدها

أن يعلن عن أفكاره إذا كانت تحدث خللا في المجتمع ولا بد أن يتسم في أفكاره بالجدية والروح العلمية الأصيلة ولا يكون همه الإثارة، فالحرية دائما مقيدة بنظام المجتمع وحقوق الآخرين وليس هناك حرية مطلقة[١]. وبعد استقراء النظام الكوني يرى زكي نجيب محمود أن نظام الكون يقوم على حرية الأجزاء أو الأفراد حرية مقيدة ومحكومة بطبيعة الكيان الذي تنتمي إليه مقررًا أنه كلما ازدادت القيود ازدادت الحرية حرية [٢].

الإسلام والحرية

الحرية عند هيكل مبدأ عظيم من مبادئ الإسلام الكبرى بل هي عنده **أعز مبادئ الإسلام**[٣]، وكما أن الإسلام دين الحق والنظام والإخاء والمساواة فهو كذلك دين الحرية[٤]، وكثيرًا ما يسعى هيكل ليقارب بين مبادئ الثورة الفرنسية ومبادئ الإسلام، فهو يرى أنه إذا كان شعار الديمقراطية الحديثة الحرية والإخاء والمساواة فهي أيضًا المبادئ الأساسية في الإسلام[٥].

ويشير هيكل إلى أن الإسلام من بدايته قد حطم القيود التي جعلها رؤساء الأديان على أتباعهم وحرر الإنسانية من أي خضوع لغير الله[٦]، وقد حرر الإسلام العقل العربي من الوثنية والوهم وكان لذلك أثره الكبير في الحياة الاجتماعية[٧]، وكانت حرية التفكير مطلقة في صدر الإسلام وهو ما كان سببًا في قوة الايمان[٨]، ذلك لأن الإسلام تتأسس الحرية فيه على أساس حرية الرأي حيث جعل الإيمان بالله قائمًا على النظر والتأمل[٩]، إن الإسلام يقرر الحرية للناس كاملة إلا فيما يوجب الشرع الجزاء فيه[١٠]، والنظام الإسلامي يكفل للفرد حريته ويحفظ حقه في المتاع العادل بثمرات نشاطه[١١].

ولما كان **التوحيد** هو جوهر الإسلام وأساسه الذي تتبني عليه جميع القواعد فقد عدّه هيكل أساسًا للحريات التي يشع نورها في كل نواحي الدين الإسلامي وكما

---

١) مجمع اللغة العربية: القاموس الفلسفي، (مادة حرية) الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة،١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص ٧١

٢) زكي نجيب محمود: عن الحرية أتحدث، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م، ص١٧وما بعدها

٣) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٦٥

٤) هيكل: حياة محمد ص ٢٦٧، هيكل الإمبراطورية الإسلامية ص٧٩

٥) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٦٧

٦) هيكل: الشرق الجديد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة مخيمر، القاهرة، ص٢٢

٧) هيكل: الفاروق، ج٢ ص٢٢٦

٨) هيكل: الفاروق، ج٢ ص١٧٣

٩) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص٩٢

١٠) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص ٦٥

١١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص٤١

يقول هيكل: إن فكرة التوحيد هي أصل كل الحقائق والفكرة روح لا مادة وهي لذلك خالدة والبيت الحرام رمز لها[١]، وعندما يقوم هيكل بعمل حصر لمبادئ الحضارة الإسلامية يكون التوحيد أولها فهي: توحيد، وثبات قوانين الكون، ومساواة[٢].

إذن التوحيد هو أساس الدين والحقيقة والحضارة في الإسلام، ويؤكد هيكل على أنه في النظام المبني على التوحيد الناس أحرار في كل شيء حتى في أمر العقيدة فلا إكراه في الدين، كما أن عقيدة التوحيد هي التي تأسس عليها النظام السياسي في الإسلام حيث تأسس على الحرية[٣]، والفكرة الإسلامية المبنية على التوحيد تنزع في ظلال الحرية إلى الوحدة الإنسانية[٤].

إذن التوحيد يؤسس للحرية والحرية تؤسس للوحدة الإنسانية كيف لا وقد قامت الحرية في الإسلام على أساس المساواة أمام الله[٥].

في كتابه (الشرق الجديد) يتبنى هيكل فكرة أن جميع الأديان السماوية والتي ظهرت في الشرق كانت تمثل يقظات فكرية وروحية[٦]، وقد أتى الإسلام وهو الدين الخاتم ليحقق أكبر اليقظات فكرًا وروحًا، فالإسلام بذلك هو أسمى الأديان التي دعت إلى الحرية الحقيقية[٧].

وقد عرفنا عند هيكل تلك الأسس أو الشروط الموجدة للحرية مثل قوة الروحانية والتي أظهر هيكل أنها إحدى مبادئ الإسلام، وهو يبين أن **الروح في الإسلام أساس الحرية** والنظام[٨]، ولذلك عني الإسلام بتقوية روح المسلم فشرع الله العبادات التي تقوي روحه ومن ثم تبني حريته؛ ومن ذلك الصلاة والصيام وغيره، فالصلاة تحقق المساواة والإخاء والحرية[٩]، والصيام طهور للنفس يوجبه العقل عن اختيار من الصائم كي يسترد حرية إرادته وحرية تفكيره والصيام كذلك هو تحرير من قيود العادة[١٠].

---

١) هيكل: في منزل الوحي ص٣٩٠
٢) هيكل الإمبراطورية الإسلامية ص٢٩
٣) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص١٤، ٢٠
٤) هيكل: في منزل الوحي، ص٢٣
٥) هيكل: الفاروق، ج٢ ٢١٥
٦) هيكل: الشرق الجديد، ص٨٢
٧) هيكل: الشرق الجديد، ص٢٨٩
٨) هيكل: في منزل الوحي، ص١٧٩
٩) هيكل حياة محمد، ص ٥٢٦
١٠) هيكل: حياة محمد، ص٥٢٧، ٥٢٩

يرى هيكل أن **دعوة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أساسها الدعوة الى الحرية**[١]، ويزعم هيكل أن النبي كان منشغلًا قبل البعثة بالتفكير والتأمل في أهم القضايا ومنها مسألة الاختيار[٢]، وهذا في رأي الباحث تكلف لا دليل عليه، فربما كان النبي يتأمل في الكون وخالقه ولكن لا أظن أنه انشغل بمسألة الاختيار التي تتساءل حول الفعل الإنساني هل الإنسان حرّ فيه أم مجبر عليه.

وينبهنا هيكل إلى أن ما كان يحدث بين النبي ومخالفيه من جدل يدل على أن تحرير الفكر من الجمود كان من أسس الإسلام[٣]، وفي المدينة كان تفكير النبي في غاية واحدة هي كفالة حرية العقيدة والرأي[٤]، وجاءت وثيقة المدينة مقررة ومؤسسة لحرية الرأي والعقيدة فكانت فتحًا جديدًا في الحياة السياسية[٥].

ولأن هيكل يعجب بالعلم الحديث ومنهجه فقد حاول المقاربة بين منهج العلم الحديث ومنهج النبي في دعوته حيث يزعم هيكل أن هناك تشابهًا بين دعوة النبي والطريقة العلمية الحديثة المحررة للفكر والقائمة على التجرد والملاحظة والتجربة والموازنة والترتيب والاستنباط[٦].

إذن فإن الإسلام يبني مبادئه على أساس الحرية تلك الحرية التي تتقوى بالروحانية والعبادات والتوحيد، وكان نبي الإسلام داعيًا للحرية والتحرر منذ بداية دعويته، ورأينا كيف سعى هيكل للتقريب بين مبادئ الإسلام ومبادئ التنوير وبين منهج النبي والمنهج العلمي الحديث، فالإسلام إذن وحسب رأي هيكل دين يتوافق مع الحداثة في جوهرها ومبادئها، ولذلك يؤكد وبكل حسم على أن كل نظام لا يقوم على حرية الفرد وتضامن الجماعة وحق الشعب في حكم نفسه عن طريق المناقشة الحرة لا يتفق مع قواعد الإسلام[٧]

هذا عن الموقف الأصيل للإسلام من الحرية، فماذا عن موقف المسلمين منها؟

---

١) هيكل: حياة محمد، ص ١٥٩

٢) هيكل: حياة محمد، ص ١٤٦

٣) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص٩٣

٤) هيكل: حياة محمد، ص ٢٣٥

٥) هيكل حياة محمد، ص ٢٤١

٦) هيكل: حياة محمد ص ١٦٥

٧) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٦٢

المسلمون والحرية:

يكثر هيكل من حديثه عن تقدير المسلمين للحرية وكيف أنهم اتخذوها أساسًا في كل أنظمتهم، مما كان له عظيم الأثر في نهضتهم وانتشار دينهم وثقافتهم، لقد كرر هيكل دائمًا أن أساس الإمبراطورية الإسلامية هو الدعوة الى الحرية في الاعتقاد والتفكير[١]، وأن المسلمين أقاموا نظامهم على مبادئ الحرية والمساواة[٢]، وأن المسلمين أباحوا الحرية العقلية وحرية الرأي[٣]، وهذا كله كان سببًا في قوة الإمبراطورية الإسلامية حيث شعر العرب أنهم أصحاب رسالة الحرية[٤]، وقد كانت دعوة الإسلام إلى الحرية هي السبب – في رأي هيكل - لاستجابة العرب له[٥]، ذلك لأن بلاد العرب كانت قبل الإسلام تعيش في نظام ديمقراطي وكانت الحرية التامة أعز شيء على العربي[٦]، ويوافق الطهطاوي على هذا الرأي حيث زعم أن الحرية التي يطلبها الفرنسيون كانت من طباع العرب[٧].

ويرجع هيكل السبب في توسع الإمبراطورية الإسلامية إلى عمل المسلمين بقاعدة الإسلام في الحرية[٨]، فلم يحاول المسلمون إكراه الناس على الإسلام أثناء الفتوح[٩]، وإن معاهدات الصلح في الفتح الإسلامي نصت على احترام عقائد الاخرين[١٠]؛ ولذلك فقد شعر المسيحيون أنهم أكثر حرية في تدينهم بعد الفتح العربي[١١].

إن هيكل يدافع دائما عن تسامح المسلمين مع المخالفين[١٢]، ويسعى لإثبات أن المسلمين غير متعصبين[١٣]، ويرفض ما أشاعه المستشرقون وغيرهم من أن الإسلام فُرِض بالسيف مؤكدًا على أن الإسلام لم يفرض بالسيف وأن حرية الرأي والاعتقاد ظلت مطلقة، ويرى أن تاريخ المسلمين يشهد بأنهم لم يفرضوا الإسلام على أحد ومن

---

١) هيكل: الصديق أبو بكر ص١٤٦
٢) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص١٢
٣) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص١٣
٤) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص١٣
٥) هيكل: الشرق الجديد، ص١٦
٦) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص٧٣
٧) الطهطاوي: تلخيص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،٢٠١٠م، ص١١٣
٨) هيكل: الفاروق، ج٢ ص٣٠٩
٩) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص١٠
١٠) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص٨٧
١١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص٨٧
١٢) هيكل: الشرق الجديد، ص١٨
١٣) هيكل: الشرق الجديد، ص٢٥٤

بقي على دينه تمتع بحريات لا تتمتع بها أقليات في عصرنا[١]، فقد كان ترك الصلاة في الكنيسة أيام عمر دلالة على احترام حرية العقيدة، وأضحت حرية العقيدة أساسًا لسياسة عمرو بن العاص في مصر[٢]، ولما تبين للناس هذا التسامح وهذا الاحترام لحرية الرأي والعقيدة من قِبل المسلمين كان من نتيجته أن سارع أهل البلاد المفتوحة للدخول في الإسلام للاستمتاع بمبادئ الحرية[٣].

لكن قد عُرِف عن الخليفة عمر بن الخطاب كرهه للاختلاف والجدل في الدين فكيف يتماشى ذلك مع توجه الإسلام في حرية التفكير؟ لقد طرح المستشرقون مثل هذا السؤال وتنبه له هيكل، فرد بأن الفاروق كان يقدم نظام الجماعة على كل اعتبار ويرى في استقرار النظام أقوى كفيل بخير الأفراد وبخير المجموع كله، ويبين هيكل أن ما كان الفاروق ينهى عن النقاش فيه هو ما كان من باب الجدل العقيم الذي لا فائدة فيه، والذي سمّاه هربرت سبنسر فيما بعد (ما لا سبيل إلى معرفته) وذلك مثل مسألة القدر وقد تنبه المسلمون الأوائل إلى عقم النقاش في مثل هذه المسائل المجردة وأنها لا تؤدي إلا إلى الخلاف والشقاق الذي يضعف الدولة ويشغلها عن أهدافها الحقيقيّة[٤].

وردًا على هذه التهم الموجهة للإسلام والمسلمين والتي تتدعي تعصب المسلمين وعدم تسامحهم وقهرهم الناس على الإسلام قهرًا من خلال الحروب الكثيرة التي خاضها الفاتحون يكتب هيكل مدللًا على خطأ هذه الاتهامات ومبيناً سوء النية لمن يلصقها بالإسلام، ذلك لأن الأمم الأوربية سريعة التصديق بالتعصب الإسلامي[٥].

إن الهجوم على المسلمين هو الذي اضطرهم للدفاع عن دينهم؛ فشرع الله القتال دفاعًا ودفعًا للمعتدين مع تحريم وتجريم الاعتداء على الآخرين، وكانت البداية دائما السلام والنصيحة بالحسنى من قِبل المسلمين، فقد أرسل الرسول الكريم رسله الى الملوك يدعوهم إلى الدين الذي يُحرّر العقول لترى والقلوب لتبصر[٦]، ولكن الأقوام لم يستجيبوا وحشدوا لقتال المسلمين، فقام المسلمون مدافعين عن أنفسهم وعن دينهم، ذلك لأن الإسلام كما يوضح هيكل يفرض الدفاع عن حرية العقيدة، وأن القتال في الإسلام

١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص٣٠، ص٩٢
٢) هيكل: الفاروق، ج١ ص١٥٧، ٢٤٠
٣) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص١٣
٤) هيكل: الفاروق، ج١ ص٢٢وما بعدها
٥) هيكل: تراجم مصرية، ص ١٣٧
٦) هيكل: حياة محمد، ص ٣٩٢

شرع حتى تتحقق حرية الدعوة ودفاعًا عن حرية الرأي[١]، فالمسلون الأوائل غزوا العالم دفاعًا عن عقيدتهم وعن حرية التدين ولم يفرضوا دينهم على أحد[٢].

إذن حروب المسلمين حروب من أجل الحرية، حرية الرأي وحرية التدين ومن الأدلة على ذلك أن الرسول أوصى معاذ بن جبل ألا يفتن اليهود عن يهوديتهم ولم يفرض الجزية على يهود البحرين، ذلك لأن الإسلام يمثل قمة التسامح كما في الآية رقم ٦٢ من سورة البقرة[٣].

ويرد هيكل على دعوى المستشرقين أن الإسلام مضاد للحرية لقتاله المشركين موضحًا أضرار الشرك الاجتماعية التي أوجبت محاربته من المسلمين حفاظًا على الجماعة[٤]، وعن احتجاجهم بقتل المرتد يرى هيكل أن الإسلام كغيره من الأديان يبيح قتل المرتد ولكن لا يرغم الآخرين على الدخول فيه مؤكدًا حرية التدين[٥]، وفي كتابه (الفاروق) يقوم هيكل بتبرير ما قام به الخليفة الثاني من إجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب[٦]، موضحًا أن إجلاء عمر لليهود والنصارى كان توحيدًا للعقيدة في جزيرة العرب[٧]، كذلك يقدم تبريرًا لحروب المسلمين في العراق وفارس بأنها لتحرير العرب[٨].

ويهتم هيكل أكثر ما يهتم بإثبات الحرية الفكرية وحرية الرأي والاجتهاد في الإسلام، ويرى أن الإسلام سابق في ذلك حين دعا لإعمال العقل باستمرار، فالحرية العقلية كانت جوهر الإسلام وأساس الحياة الإسلامية[٩]، لذلك فإن الإسلام يدعو الناس جميعًا للنظر في الكون ليؤمنوا عن بيّنة ومن غير إكراه[١٠]، وكان ولا يزال الاجتهاد بالرأي من أصول التشريع الإسلامي لذا كانت حرية الرأي مطلقة فيما وراء ذلك من

---

١) هيكل: حياة محمد، ص ٢٦٠، ٢٦٤

٢) هيكل: حياة محمد ص، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤، ٥٧٥

٣) هيكل: حياة محمد ص٣٩٨، ٥٧٨ وهو يقصد قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"(البقرة:٦٢).

٤) هيكل: حياة محمد ص٤٧٨، ٤٨٠

٥) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ٨٦

٦) هيكل: الفاروق ج١ ص١٠٢

٧) هيكل: الفاروق ج٢ ص١٨٦

٨) هيكل: الفاروق ج١ ص١١٨

٩) هيكل: الفاروق ج٢ ص ١٧٥

١٠) هيكل: في منزل الوحي ص٦٣٧

شئون الحياة[١]، ومن الأدلة على ذلك تعدد المذاهب الفقهية في عالم الإسلام فالمذاهب الأربعة في الإسلام دليل على حرية الرأي في الإسلام[٢].

إن حرية الرأي كانت مطلقة في العصور الأولى من تاريخ المسلمين والدليل على ذلك أن المسلمين كانوا ينقلون علوم اليونان ويؤسسون عليها مذاهب، والأدب الإسلامي والفنون في العصر الأموي والعباسي تدل على حرية كبيرة في التفكير رغم الانحلال[٣].

نعم إن الإسلام يحمي الحرية العقلية ويترك للعقل مجاله الواسع وهذا هو الفارق الكبير بين الإسلام وغيره، وكما يقرر الإمام محمد عبده أن الإسلام أطلق سلطان العقل من كل قيوده مع الخضوع لله وحده[٤]، وعلى ذلك رعى الخلفاء المسلمين العلماء والحكماء من كل ملة وقلدوهم أعلى المناصب[٥]، وعن المسلمين أخذ الإنجليز هذا التسامح مع المخالفين[٦]، وهذا ما يؤكده أيضًا أحمد أمين من أن الإسلام والعقل لا يمنعان من البحث والسير وراء العلم وإخضاع الحياة للعلم والعقل إلى آخر حدّ، وقد سار المعتزلة وراء العقل إلى منتهاه وفي النهاية اتفق الجميع على إسلامهم[٧].

ولعل السبب وراء هذه الحرية الفكرية المطلقة هو ما يذكره هيكل من أنه لا توجد سلطة دينية في الإسلام فهذا ما جعل المسلم حرًا يحتكم الى عقله في كل شيء[٨]، إن الدكتور هيكل له ثقة كبيرة في قدرة الإسلام على تقديم الخير والرخاء للإنسانية من خلال هذا الترابط القوي والجوهري بين الإسلام والحرية العقلية لذلك يؤكد على أن شريعتنا تساعد الكون على التقدم والارتقاء وتوافق العقل على أن يكون حرًا في تفكيره[٩].

---

١) هيكل الإمبراطورية الإسلامية ص٩٢

٢) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص٦٦

٣) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص٩٣، ص٩٤

٤) محمد عبده: رسالة التوحيد١٤١، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٤م

٥) محمد عبده: الأعمال الكاملة، الجزء الثالث (الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات) تحقيق وتقديم محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م، ص ٢٨٦ وما بعدها

٦) محمد عبده: الأعمال الكاملة، ج٣، ص ٢٦٦ وما بعدها

٧) أحمد أمين: يوم الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ص٢٠٨

٨) هيكل: حياة محمد، ص ٥١٩،

٩) هيكل: مذكرات الشباب، ص٢٩٨

إذن هذا هو شأن الإسلام إنه يتبنى الحرية في جميع صورها وتطبيقاتها ويجعلها أساسا ومبدأً رئيسًا تنبني عليه كل الشئون، لكن ماذا حدث للمسلمين مع مر الزمن هل مازالوا يدركون جوهرية مبدأ الحرية؟ هل استمر إعمال العقل والاجتهاد الذي أبدع الحضارة الإسلامية؟

يرى هيكل أن المسلمين بعد أن كانوا يمارسون الحرية العقلية في شتى المجالات قد أدت بهم بعض العوامل إلى التخلي عن هذا المبدأ الجوهري ومن ثم تراجعت الحضارة الإسلامية وعلى ذلك يصر هيكل على أن جمود الحرية هو الذي أدى لتدهور الإمبراطورية الإسلامية[١]، التي كانت الحرية العقلية أحد أهم أسسها الفاعلة، وبدأ تدهور العقلية الإسلامية بعد أن بدأ التراشق بالاتهام بزيغ العقيدة عند الاختلاف في الرأي فجمد الناس على مذاهبهم وأصبح النقد لما هو مقرر يعرّض الناقد للخطر الكبير، فأصابهم الجمود أول الأمر في العقائد والعبادات وأصول النقد ثم امتد إلى سائر العلوم والفنون[٢].

ولعل من أهم هذه العوامل التي يعدها هيكل بمثابة أقوى العوامل في تراجع الحرية العقلية هو قوة النزعة المادية حيث يرى هيكل أن الإسلام بثقافته الروحية ساعد على قوة التحرر فقد كانت الثقافة الروحية حرة طليقة لم تقيد إلا بعد الجمود والانحلال، ويُرجع هيكل إلى اليهود السبب في تقوية هذه النزعة المادية فيذكر أنهم دسّوا أحاديث حولت المسلمين من الروحانية إلى المادية ليضعفوا نفوس المسلمين[٣]، وقد ظهرت تلك النزعة المادية في إبراز المعاني غير المحدودة والمجردة في صور مادية محسوسة حتى وصل الأمر إلى الروح والخالق والملائكة والعرش، وكل هذا في رأي هيكل رجوع إلى الوثنية وكان لهذا تأثيره الواضح في كل الجوانب الأخرى فقد انحطت النفوس وجمدت الضمائر وساد النفاق والكذب وشاعت الحيل الشرعية التي يتحايل بها المسلم على أحكام الدين[٤]، إذن شيوع النظرة المادية هو من الأسباب الأولى لتراجع الحرية ومن ثم تدهور الحضارة الإسلامية والدخول في عصور الجمود الفكري والذي كان من أسبابه تخلي العلماء عن حريتهم لقاء منافع مادية[٥]، رغم أن الإسلام يحرر

١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ١٣ومابعدها
٢) هيكل: الفاروق، ج٢ ص١٧٤
٣) هيكل: في منزل الوحي، ص٢٣، ص١٩٤
٤) هيكل: الشرق الجديد، ص٤٣حتى ٤٦
٥) هيكل: الشرق الجديد٢٧

الإنسان من كل عبودية أو خضوع إلا لله بخلاف الحضارة الغربية الحديثة التي تستعبد الناس للأمور المادية (العطور– الموضة..)[١]، لذلك يرى أن التقيّد في الغرب بالمادة هو الذي قيد حرية التفكير ومن ثم سعى بعضهم لحل المشكلة وهذا ما فعله الإسلام من قبل[٢].

إن التفكير للوصول للحقيقة هومن سنة النبي في رأي هيكل، ولذلك يلوم هيكل المسلمين على ترك سنة النبي في الانقطاع للتفكير للوصول للحقيقة في الغار ويرجع ذلك لتوجههم المادي والتقليد[٣].

وكذلك فإن ما قضى على الحرية وأقفل باب الاجتهاد هو الانحلال الذي أدى لانقسام الإمبراطورية الإسلامية واستبداد الملوك[٤]، والاستبداد هو العامل الثاني الذي يجعله هيكل من عوامل تراجع الحرية الفكرية، وهو يقرر أن الحكومة الإسلامية في الأصل هي حكومة شورى وانتخاب حر[٥]، وأن الشورى كانت أساس الحكم في بلاد المسلمين في صدر الإسلام[٦]، ولا شك عنده في أن سبب تخلف المسلمين هو انقلابهم من الشورى إلى الاستبداد الذي قتل الحرية الفردية[٧]، وعجّل بكل المصائب التي أحزنت المسلمين نتيجة هذا الحكم المطلق[٨].

ويتهم هيكل الفقهاء بأنهم ساهموا في تدهور الحرية الفكرية وفي إقرار الاستبداد ودعمه، حيث يرى أن بعض الفقهاء أخذ في الهجوم على المجتهدين والمفكرين إرضاء للملوك مدعين التخوف على الدين من هؤلاء المفكرين فنادوا بإغلاق باب الاجتهاد ورموا بالكفر والزندقة كل من خالفهم؛ وكان كل ذلك دعمًا لاستبداد الملوك والخلفاء فكبّلوا العقل الإنساني والإرادة الإنسانية لطمأنة هؤلاء المستبدين[٩].

ويوضح هيكل بعض مظاهر هذا التدهور والجمود الذي أصاب العقل والنظام الإسلامي، ومن ذلك حال الرقيق أو العبيد، فمن المعروف أن الإسلام فتح باب العتق

---

١) هيكل: في منزل الوحي ص٩٢ وما بعدها
٢) هيكل: في منزل الوحي، ص١٧٩
٣) هيكل: في منزل الوحي ص٣٣٩
٤) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٩٣
٥) هيكل: الصديق أبو بكر ص ١٤٥
٦) هيكل: الفاروق ج٢ ص١٨٩
٧) هيكل: الشرق الجديد، ص٢٦، ص٢٧٥
٨) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٧٧
٩) هيكل: الشرق الجديد٣٩، ٤٠

على مصراعيه وجعل الرقيق في مقام كريم[١]، ولكن بعد تطور نظام الحكم إلى الاستبداد المطلق رُد الرقيق الى ما كان عليه قبل الإسلام[٢]، معنى ذلك أن العبيد في العصور الإسلامية الأولى كانوا يتمتعون بكرامة واحترام ولكن مع تراجع النظام الذي كان يتخذ الحرية والإخاء والمساواة أسسًا له تراجع احترام هؤلاء الرقيق ورجع بهم العهد إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام ولم يعد يأمل واحد منهم في التحرر، فعادت فكرة السيد والعبد والغني والفقير والقوي والضعيف وقويت الفروق بين المسلمين وظهر نظام الطبقات بعد أن تراجعت الإخوة الإسلامية نتيجة هذا الاستبداد والجمود[٣]، فهذا النظام الذي يفرّق بين الناس ويباعد بينهم ليس من الإسلام في شيء فالإسلام يأبى أن يبلغ التفاوت بين الناس أن يكون أحدهم حيوانًا ويهنأ الآخرون[٤]، وكانت المرأة أيضا من ضحايا هذا التدهور حيث إن المرأة المسلمة كانت _ كما يقول هيكل_ حرة حرية الرجل في ذاتها ومعاملاتها ولكن تغير ذلك بعد تغير النظام[٥].

ويرى هيكل أن بعض المستشرقين والجامدين استندوا إلى هذا الذي حدث من تدهور في الحرية فاتهموا الإسلام بأنه لا يقر حرية الرأي[٦]، والإسلام كما عرفنا بريء من هذه التهمة المغرضة، فالإسلام والمسلمين كانوا يمثلون الاجتهاد والحرية العقلية الكاملة، وأوربا في ذلك الوقت كانت تمثل الجمود ومعاداة العقل وهذا في رأي هيكل الذي جعل المسلمين ينتصرون على الصليبيين في الحروب الصليبية، فسبب هذا الانتصار هو جمود أوربا واجتهاد الإسلام[٧]، لقد استغل الغرب هذا الوضع التاريخي للمسلمين واتهموا الإسلام نفسه أنه ضد الحرية وأنه سبب تخلف الشعوب العربية، لكن هيكل يقول: إن الشعوب الإسلامية كانت موئل الحرية التي عرفها الغرب بعد ذلك وهذا يدفع عن الإسلام تهمة أنه سبب تخلف العرب[٨].

ولكن هل استمر هذا الجمود العقلي وهذا التراجع والتدهور للحرية الفكرية؟ أم حدث ما جعل المسلمين يحاولون العودة إلى تحرير العقول وإعمال الأنظار؟ يذكر هيكل أن الاستعمار الغربي بعد سيطرته على بلاد المسلمين خضع الكثير من المسلمين

١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٢٠
٢) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٢٤
٣) هيكل: في منزل الوحي ص١٧٦
٤) هيكل: في منزل الوحي ص٤٠٨
٥) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٢٥
٦) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٩٤
٧) هيكل: الشرق الجديد ص٢١
٨) هيكل: حياة محمد ص ٣٣

لمقررات العلم بعد أن رأوا أن كلمة العلم الحديث هي صاحبة السلطان في هذه الأمم القوية التي تتحكم في غيرها من الأمم، ومن ثم بدأ جماعة من علماء المسلمين يدعون لإزالة الجمود العقلي ويرشدون المسلمين إلى استعمال العقل والتفكير العلمي وخاصة في أمور دنياهم ومعاملاتهم وغيرها مما تركه الدين ليجتهد المسلم بما يتوافق مع المصلحة والعصر، ويقرر هيكل أن الإحاطة بالعلم في أحدث ما وصل إليه واتخاذه وسيلة للنظر في آيات الله هو السبيل إلى الإيمان الحق كما أنه سبيل الحياة الروحية الصحيحة التي لا تستقيم مع الجمود العقلي[١].

ومن هنا بدأ صراع بين دعاة التجديد وأهل الجمود، حيث إن دعاة التجديد دعوا إلى حرية الرأي والفكر والبحث وفتح باب الاجتهاد والانفتاح على منجزات العلم الحديث والإفادة من منهجه، بينما أهل الجمود وقفوا في وجه هؤلاء وأصروا على التقليد واتباع السلف والتزام المناهج القديمة، وقد نبّه هيكل إلى أن الاستعمار الغربي كان يؤيد الطاعنين على الإسلام باسم حرية الرأي ويؤيد أهل الجمود للقضاء على حرية الرأي[٢].

ومن المؤكد أن الدكتور هيكل كان من الدعاة الكبار إلى حرية الرأي والتجديد وقد عُرف عنه مخالفة ما كان قد تم عليه الإجماع وذلك في كتابه (حياة محمد) حيث أعلن أنه لا يؤمن بالمعجزات الحسية التي ترويها كتب السنة وتنسبها للرسول مستندًا في ذلك إلى بعض آيات القرآن الكريم ومتمسكًا بأن القرآن وحده هو معجزة الرسول[٣].

وكان هيكل من المسارعين إلى تبني الحرية بعد معرفته بالغرب عن قرب واعتنق مبادئ الغرب التي تسهم في توطين الحريات مثل الديمقراطية واجتهد في التقريب بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية، وعلل السبب في قبوله والمسلمين للأفكار الغربية بأنه كان محاولة لكسر الجمود والقيود التي فرضها الاستبداد خاصة بعد عدم اهتمام العثمانيين بإزالة هذا الجمود[٤]، وكأنه رأى أن اتّباع الغرب فيه الخلاص لشعوبنا المقهورة والمتخلفة آنذاك، ولكن هل سيقبل المسلمون اتّباع الغرب في

١) هيكل: في منزل الوحي، ٦٣٥ حتى ٦٣٨

٢) هيكل: حياة محمد ص ٣٦

٣) هيكل حياة محمد، ص٧١

٤) هيكل الشرق الجديد ص٢٧،٦١

أفكارهم ونظمهم الحديثة؟ بالطبع لا يقبل ذلك الكثيرون فكان على هيكل أن يغري المسلمين بالأفكار الغربية بأن يبين أنها تتفق مع الإسلام ومبادئه، فزعم أن الحرية المقصودة في شعار الثورة الفرنسية هي حرية التفكير والرأي والتعبير عنه وهي موجودة في الإسلام[١]، وزعم أن الإسلام والديمقراطية يلتقيان في الأمور الجوهرية[٢]، فالحرية والإخاء والمساواة شعار الديمقراطية الحديثة وهي في الوقت نفسه المبادئ الأساسية في الإسلام[٣]، كذلك فإن ما قرره الإسلام في الاقتصاد والاجتماع يحفظ مبادئ الديمقراطية الأساسية (الحرية والإخاء والمساواة)[٤]، ويكاد يوحد بين الإسلام والديمقراطية حين يؤكد على أن الإسلام والديمقراطية يتجهان وجهة واحدة ويرميان إلى غاية واحدة هي سعادة الإنسانية وسلامها ويعتمدان على الفطرة الإنسانية[٥].

وفي هذا الوقت المبكر الذي كان المسلمون فيه يكرهون الغرب الذي أذلّهم ويأبون الاتفاق معه زعم هيكل أن الدول الإسلامية تؤمن بالديمقراطية وتراها متفقة مع مبادئ الإسلام (إخاء حرية مساواة) [٦]، وهاجم كل من يعادي الديمقراطية الغربية من منظور إسلامي مؤكدًا أن الذين يجادلون بأن الإسلام يقر حكمًا غير الحكم الديمقراطي يخالفون المبادئ الجوهرية للإسلام[٧].

إن هيكل يقارب بين الديمقراطية الغربية والإسلام بل يوحد بينهما، رغم أن هذا يتناقض مع ما قرره في موضع آخر حين أكد على أن الاختلاف بين الإسلام والحضارة الغربية جوهري إلى حد تأكيده على أن أساس كل منها نقيض الآخر، وأن أسباب هذا الاختلاف تاريخية وهي النزاع بين الكنيسة والدولة والذي أدي إلى انتصار التفكير المادي الذي جعل الاقتصاد أساسا للحضارة الغربية، وكذلك أكد أن الحضارة الإسلامية المعتمدة على الدين الحق هي وحدها الكفيلة بسعادة العالم[٨]، وهو يوضح في أماكن عديدة ميزات للإسلام تجعله يوفر حرية أفضل وأصدق مما تحققه الحضارة الغربية الحديثة؛ وذلك مثل فكرة الجنس التي يرى هيكل أنها تسلب الحرية وتجعل

١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٦٦
٢) هيكل الإمبراطورية الإسلامية ص٦٢
٣) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٦٧
٤) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٧١
٥) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ٨٢
٦) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٥٥
٧) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٧٧
٨) هيكل: حياة محمد ص ٥١٦

الفرد عبدًا لغرائزه، لذلك غيّر الإسلام فكرة الجماعة عن العلاقة بين الرجل والمرأة[١]، بينما في الغرب الكثيرون هم عبيد هذه الشهوة لدرجة تحط بكرامتهم وتذهب بإنسانيتهم فضلًا عن حريتهم، ولذلك يعيب هيكل على المسلمين عدم اهتمامهم بمواجهة أسباب ضعفهم وتخلفهم وانشغالهم بمحاكاة الغرب والاستعارة من حضارتهم[٢].

رغم هذا التناقض في محاولة التقريب بين الإسلام والنظم الغربية وبين التأكيد على التباعد الجوهري بينهما، إلا إن الدكتور هيكل يرى أن الإسلام في صف الحرية دائمًا وأن كل نظام لا يقوم على حرية الفرد ونظام الجماعة وحق الشعب في حكم نفسه عن طريق المناقشة الحرة لا يتفق مع قواعد الإسلام[٣]، ذلك لأن نظام الحكم في الإسلام القائم على الشورى الإسلامية يجب أن يتحقق به للناس حظ من الحرية والإخاء والمساواة[٤].

وهيكل بذلك يحقق الميزتين اللتين تميزان الليبرالي العربي عند عبدالله العروي وهما القول بأن الإسلام في صميمه هو دعوة صريحة للحرية وأن كل ما خالف الحرية ليس من الإسلام في شيء، والقول بأن الحرية متأصلة في المجتمع والتاريخ الإسلاميين[٥].

نعم مازال يصرُّ الكثير من المفكرين المسلمين مرددين أن مفهوم الحرية سواء الفردية أو السياسية أو الفكرية أو الدينية كلها مشتق ومستخلص من المفاهيم الإسلامية للحرية وأنه نتيجة لتأثر الفكر الأوربي بالحضارة الإسلامية[٦].

ربما هذا الإصرار يستند بالفعل إلى الحقيقة، ولكن علينا الآن أن نستوضح حقيقة الحرية في الغرب، وهل تتوافق مع الحرية كما رسمها الإسلام؟

الغرب والحرية:

الغرب كما نعرف هو المصدر المباشر للحرية في العصر الحديث، وسنعرف فيما بعد كيف أن هيكل تأثر بالثقافة الغربية وبالحياة الحرة التي عايشها في باريس،

---

١) هيكل: حياة محمد ص ٣٥٩

٢) هيكل: الشرق الجديد ٦٩

٣) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٦٢

٤) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٦٤

٥) العروي: مفهوم الحرية، ٦٥وما بعدها

٦) محمد الجوهري: النظام السياسي الإسلامي والفكر الليبرالي ، دار الفكر العربي ، ص١٤

ولكن الآن سنعرض ومن خلال كتابات هيكل لحقيقة الحرية الغربية ومركزها الجوهري في الحضارة الحديثة.

يوضح هيكل ذلك الترابط بين النهضة الغربية وبين الحرية، بمعنى أن الحرية كانت شرطًا ملازما للنهضة الغربية، فمن المعرف أن العصور الوسطي كانت عصور استبداد رجال الكنيسة بكل شيء وهذا ما قعد بأوربا عن النهضة قرونا عديدة مظلمة، وهذا ما استدعى تحرير كل شيء من سيطرة رجال الدين، فكانت بداية نهضة أوربا هي تقويض سيطرة رجال الدين وتقديم العقل وجعله حاكما على الدين[١].

لقد جاهد رواد النهضة الغربية لتحرير العقل والفكر من كل قيد وكانت هذه البداية لكل ما جاء بعد ذلك، ويبين هيكل أثر فلاسفة هذا العصر والذين يصفهم بـ(التجريديين) و(الميتافيزيقيين) في نهضة التفكير في كل الميادين لاعتمادهم العقل والمنطق[٢]حتى الفلاسفة المؤمنين أرادوا قيام الدين على العقل وهؤلاء كانوا أخطر على رجال الكنيسة لا الملحدون[٣]، وكذلك يرى أن أساس عصر الإصلاح الديني هو حرية التفكير مما كان له الأثر الكبير في إبداع شكسبير[٤].

وعند هيكل فإن (باريس) هي مهد الحرية في العالم كله[٥]وذلك نتيجة للثورة الفرنسية التي حررت الناس من سيطرة رجال الدين، ومبالغة في إقصائهم فإن رجال الثورة تمسكوا بالإلحاد كطريق للحرية بعد استبداد رجال الدين[٦]، ورغم أن الثورة الفرنسية قامت لأسباب اقتصادية فقد استغل دعاتها بعد ذلك مبادئ الحرية للسيطرة على الناس[٧]، وكانت الحرية قد وجدت في فرنسا وطناً لها بعد كتابات رجل مثل جان جاك رسو الذي يعده الكثيرون نبي الحرية ويسميه هيكل (أبو الحرية) [٨]، وقد اهتدى الناس بآرائه عن الحرية والديانة الوضعية في فرنسا الثورة[٩]، لقد أضحى كل شيء حرًا في فرنسا الحديثة فالأسرة في فرنسا تربي الأولاد ليصبحوا أحرارًا يعرفون معنى

١) هيكل: الشرق الجديد ص٣٢ومابعدها
٢) هيكل: الشرق الجديد ص٣٦
٣) هيكل: الشرق الجديد ص٤٧
٤) هيكل: تراجم مصرية ٢٦١
٥) هيكل: شرق وغرب ٢٠٠
٦) هيكل: تراجم مصرية ٢٧٦
٧) هيكل: تراجم مصرية ص٢٤٩
٨) هيكل: مذكرات الشباب ص ٨٦
٩) هيكل: الإيمان والمعرفة والفلسفة ص٢٧

الحرية والواجب[١]، والدراسات العليا قائمة على البحث الحر الذي طالما أثار إعجاب هيكل[٢] وغيره من المصرين، ولكن حدثت صدمة المصريين بفرنسا داعية الحرية بعد أن وقّعت الاتفاق الودي سنة١٩٠٤[٣].

إذن كما هو رأي هيكل أنه لم تتقرر حرية الرأي إلا بعد الثورة الفرنسية[٤] وقد مهد لها فلاسفة ومفكرون كبار ومن أهمهم فلاسفة فرنسا منذ ديكارت (أبو الفلسفة الحديثة) والذي كان نشر كتابه عن المنهج بداية حرية الفكر في أوربا[٥]وشاع جو الحرية الفكرية والأدبية والفنية في أرجاء أوربا ويذكر هيكل على سبيل المثال أن مذكرات بيتهوفن تفيض هياما بالوجود المطلق الحر تمام الحرية[٦] وهكذا ازدهرت الحرية الروحية والعقلية في القرن التاسع عشر وخاصة بعد أن اطمأن الناس إلى سياسة توازن القوى التي تؤدي إلى منع الحرب[٧]، هذا ما يراه هيكل رغم أن القرن التاسع عشر هو قرن الاستعمار والإذلال للشعوب العربية والإسلامية ولكنه عند هيكل ازدهرت فيه الحرية ربما يقصد حرية الغربيين وحدهم فقد كانت الشعوب العربية ومنها مصر ترزخ تحت نير الاحتلال الإنجليزي وذاق الجزائريون مرارة القهر تحت نير الاحتلال الفرنسي الغاشم، فأية حرية مزدهرة يتحدث عنها هيكل! ربما يعني هذا أن هيكل يكتب من وجهة النظر الغربية.

ثم يرى هيكل أن الحرية تراجعت مرة أخرى بعد الحرب العالمية الأولى فالحرية كانت موجودة ومحروسة من الدول قبل الحرب العالمية الأولى لكن بعد ذلك تغير الحال[٨]، ويشير هيكل إلى كذب دعاوى الدول الكبرى فقد أظهر الحلفاء أنهم يحاربون من أجل الحرية ولكن ظهر عكس ذلك بعد انتصارهم[٩]وبذلك حسب رؤية هيكل فإن النزعة التحكمية هي بعض ما أدي للحرب العالمية الثانية فكان طبيعيًا أن ينص في القوانين الحديثة على حرية الرأي والعقيدة[١٠]، وعلى ذلك فإن الازدهار

١) هيكل: في أوقات الفراغ ص ٧٤
٢) هيكل: شرق وغرب ٢٠٣
٣) هيكل: تراجم مصرية ١٣٨
٤) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص ٩٤
٥) هيكل: ثورة الأدب ٢١٤
٦) هيكل: تراجم مصرية ص ٢٢٧
٧) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص ١١٠
٨) هيكل: شرق وغرب ١٩٨
٩) هيكل: ولدي، ص ١١٢
١٠) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص ٨٦

الثاني للحرية حدث بعد الحرب العالمية الثانية، إذن فعند هيكل أنه لم تتقرر حرية الرأي إلا بعد الثورة الفرنسية ثم بعد الحرب العالمية الثانية على يد روزفلت وتشرشل[١].

إذن فقد تقررت الحرية على أيدي رجال السياسة المنتصرين في الحرب العالمية الثانية وربما الأدق أن نقول على أيدي الأمريكان وقد أرادوا من وراء ذلك تحرير الشعوب التي كانت تحت الاحتلال الأوربي لكي تسيطر عليها أمريكا فيما بعد.

المهم هنا أن هيكل يرى أن الحرية صارت تحت حماية الغرب وذلك في رأيه راجع إلى أن الأساس المعنوي للحضارة المعاصرة هو حرية الرأي حرية لا حدود لها ولا حد للتعبير عنها إلا بالقانون[٢] لقد أصبح من المعروف والمقرر أن الحرية المطلقة أساس الحياة الحديثة[٣].

لكن هذه الحرية المطلقة في رأي هيكل أنتجت الفردية المطلقة في كل المجالات[٤]، وهذا المذهب الفردي الذي بُني على أساس الحرية المطلقة أدى لتفاوت كبير في الثروة مما استلزم فيما بعد إجراءات لصالح الفقراء[٥]، ومن المؤكد أن هذا حدث بعد ظهور الفكر الاشتراكي الذي كان مناهضًا للفردية في الجانب الاقتصادي خاصةً بعد توحش الرأسمالية، وبذلك فمبدأ الحرية المطلقة تم اختباره وظهرت استحالته لما يستتبعه من مضار كثيرة.

إذن الحرية أنتجت الفردية في الحياة الاجتماعية والرأسمالية في الحياة الاقتصادية، وفي الحياة السياسية أنتجت الديمقراطية، ويرى هيكل أن الديمقراطية رغم اختلافها في الدول إلا انها تقوم على مبادئ جمعها الفرنسيون في شعارهم (حرية إخاء مساواة)[٦] وقد أصبحت الديمقراطية من أسس النهضة الأوربية بجانب العلم وغيره[٧]، والعلم كما هو معروف من نتاج حرية الفكر والرأي فقد كان شاغل الفلاسفة وأعظم ما اهتم به القائمون على النهضة الاوربية هو معرفة الطريقة الصحيحة في التفكير

١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص ٩٤
٢) هيكل: حياة محمد ص ٤٧٧
٣) هيكل: جان جاك رسو ص ١٦
٤) هيكل: الشرق الجديد ص٨٦
٥) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص٩٨
٦) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية، ص٦٢
٧) هيكل: الشرق الجديد ص٥٢

للوصول للحق وحسن الادراك[١]، وهذا ما أدّى لظهور العلم التجريبي، لكن وكما يذكر هيكل فقد تراجعت الثقة بقدرة العلم المطلقة وبدأ الغرب يبحث في ديانات الشرق[٢].

وهكذا يمكن القول إن الحرية التي أحدثتها الحضارة الغربية حرية يشوبها الكثير من العيوب وهذا راجع في رأي هيكل إلى النزعة المادية المسيطرة عليها، ولذلك يصرح هيكل بأن التفكير الحديث أفسد في أذهاننا صورة الحرية حين هدم حدودها الروحية ثم استبقى حدودها المادية[٣]، إذن فإن النزعة المادية الغالبة على الحضارة الغربية الحديثة قد أضرت مبدأ الحرية وقد عرفنا فيما سبق أن الحرية ترتبط بالنزعة الروحية وتتأسس عليها بشكل قوي، وبذلك فإن الحرية حسب التصور الغربي ناقصة ومعيبة طالما تقيدت بقيود المادية حتى إن هيكل يرى أن التقيد في الغرب بالمادة هو الذي قيد حرية التفكير[٤]، وأدت هذه المادية المفرطة إلى أفكار هدامة تناقض فكرة الحرية مثل القومية[٥]، ومثل المنفعة المادية التي تؤدي إلى الصراع[٦]؛ ذلك الصراع الذي يقضي على الضعفاء فلا حرية إلا للأقوياء، والقوة في هذا العصر للغرب فهو الحر دون باقي العالمين يفعل ما يشاء ولا يقدر على محاسبته أحد، في حين يدين الآخرين ويعاقبهم في شبهات لا أساس لها.

هذه النزعة المادية أفسدت كما ذكر هيكل صورة الحرية ولم تثمر الثمرة المرجوة، فمثلا المرأة وقد كانت مكانتها في أوربا العصور الوسطى منحطة وأقرب إلى العبودية[٧]، لكن لما جاءت النهضة والحداثة نالت المرأة الحرية ولكن بصورة مشوهة وتحمّلت مع هذه الحرية كثيرًا من التبعات الثقيلة فهي تعمل في المنزل وتكدح خارجه[٨].

مصر والحرية:

كثيرًا ما تعرض المغرضون لمصر قائلين إنها كانت دائما غير مستقلة وإن شعبها لا يعرف قيمة الحرية وليس لديه شغف علمي، وهذه التهمة لطالما أغضبت هيكل وأرقته ورأى أنها تهمة ظالمة وباطلة، وسعى دائما إلى إثبات عكس ذلك وعرف

١) هيكل: الشرق الجديد ص٤٦
٢) هيكل: الشرق الجديد ص١٣٣
٣) هيكل: حياة محمد ص٥٢٨
٤) هيكل: في منزل الوحي ص ١٧٩
٥) هيكل: حياة محمد ص ٢٥
٦) هيكل: حياة محمد ص ٥١٨
٧) هيكل: حياة محمد ص ٣٥٥
٨) هيكل: ثورة الأدب ٩٩

أن ذلك يبدأ من التاريخ، لذلك كانت لدى هيكل رغبة في الكشف عن تاريخ مصر وإظهار شعبهًا حريصًا على الحرية والمعرفة وقد جاهد لإثبات ذلك في كتابه (تراجم مصرية) الذي تحدث فيه عن شخصيات مصرية قديمة وحديثة مبرهنا على أن المصريين محبون للحق والحرية والمعرفة[١].

إذن يعتقد هيكل أن المصريين يحبون الحرية ويطلبونها على مرّ تاريخهم، ولكن متى بدأ تطلع المصريين للحرية حديثًا؟ يرى هيكل أن ذلك حدث في أيام الخديوي إسماعيل[٢]، فقد ساعد هذا الخديوي المصريين على طلب الحرية، وذلك حين رأى تدخل الإنجليز والأجانب في شئون مصر فأراد أن يستقوي بالمصريين وكذلك أنشأ البرلمان ووسع صلاحياته ليقنع أوربا أن مصر صارت دولة حديثة تؤمن بالحرية والديمقراطية[٣]، وهذا كله ساعد على تشجيع المصريين لطلب الحرية والسعي للنهضة، فكانت الثورة العرابية التي أعقبها الاحتلال البريطاني، وصارت في مصر قوتين متنافستين في حكم البلاد مما سمح بازدياد الحرية[٤]، فظهرت أهم الحركات الإصلاحية والتجديدية وهي حركة الإمام محمد عبده والتي ركزت على تجديد الجانب الفكري والاعتقادي والاجتماعي فخلقت نوعًا من التفكير الحر للقضاء على الجمود، بعد أن ارتكزت الأديان في مصر على الجبرية لوجود الاستسلام الطبيعي في النفس المصرية والذي تغير بعد الاحتلال[٥]، إن هيكل يؤكد على أن موضع الضعف الذي كان في المجتمع المصري هو ولا شك فقد الحرية[٦]، ولذلك فقد كان هدف الحركات الإصلاحية الحديثة هو إدخال التفكير الحر إلى جماهير الأمة[٧]، وقد أفاض هيكل في الحديث عن جهود قاسم أمين التحررية في الناحية الاجتماعية وذلك في كتابيه (تراجم مصرية) و(في أوقات الفراغ)، ويرى أنه كان دائمًا في صف الأحرار، ومجلًّا لحرية الرأي وأنه لذلك خالد في ضمير الأجيال لرفعه لواء الحرية الصحيحة والعدل[٨].

---

١) هيكل: تراجم مصرية ص١١

٢) هيكل: تراجم مصرية ص٤٩

٣) هيكل: تراجم مصرية ص٦٦

٤) هيكل: في أوقات الفراغ ٦٩

٥) هيكل : في أوقات الفراغ ص ٦٩ - ٧١

٦) هيكل: في أوقات الفراغ ٨٣

٧) هيكل : في أوقات الفراغ ص٧٠

٨) هيكل: في أوقات الفراغ ص٨٣، ص١٤٦، ص ١٥٦

لكن الغرب دائمًا لا يرضى لنا بالحرية ولذلك كان اللورد كرومر كما يذكر هيكل يقف في وجه هذه المحاولات الفكرية، وقد عرف عنه رفضه إنشاء الجامعة المصرية[١]، والتي أراد مؤسسوها تنوير المصريين من خلالها.

وقد ازداد عمل المصريين للحرية بعد حادثة دنشواي وقوي في شعورهم أن يعملوا للحرية حبًا لأنفسهم وللحرية لا كراهة للإنجليز أو نصرًا للخليفة[٢]، وكان هيكل على ثقة كبيرة في قوة النهضة في مصر والشرق وتقدمها يوما بعد يوم[٣]، وأشاد بدور السياسيين المصريين الذين كان لهم دور كبير في تنبيه الشعب نحو حريته[٤].

ويرى هيكل أن مصر تتأرجح بين العقلية العربية والعقلية الغربية، وفي رأيه أنه إذا تغلبت العقلية الغربية ينهض الفكر الحر وتنتشر النظريات العلمية، أما إذا تغلبت العقلية العربية فإنه تتغلب العاطفة ويسترد الماضي سلطانه[٥]وفي هذا مذمة للعقلية العربية رغم إن هيكل أوضح كثيرا أن العربي كان حريصًا على الحرية دائمًا ورغم أنه أوضح احترام المسلمين للحرية وتشجيعهم للعلم ولكن يبدو أنه قد تأثر هنا بآراء أولئك المستشرقين الذين رموا العقلية العربية بكل نقص، ومن المعروف أن هؤلاء لم يصدروا في هذه الآراء الجافية عن أي هلم أو هدى وإنما كان التعصب دافعهم، وهيكل نفسه قد تصدى لمثل هذه الآراء المشككة في عقلية العرب وفي قدرتهم على التحرر، وأكد أن السياسيين من عرب وإنجليز شوهوا تاريخ مصر وأظهروها عاجزة غير مستقلة وخاضعة[٦].

لكنه رغم ما يقرره من أن الحرية من سمات العربي ومن غايات المصريين فإنه رأى أن الحرية جاءت للمصرين وللعرب وللعالم كهبة من الغرب، فالحملة الفرنسية نقلت الى مصر أفكار الثورة الفرنسية[٧]والتي هي الحرية والإخاء والمساواة، وبعد رحيل الحملة فإن من سافر إلى فرنسا من المصريين والعرب للدراسة هناك ساهموا في توجيه الرأي الحر في مصر وفي البلاد العربية[٨]وكان الفضل الأكبر

١) هيكل: الشرق الجديد ص٩٣
٢) هيكل: أوقات الفراغ ص ١٤١
٣) هيكل: الشرق الجديد ص١١٧
٤) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية ج٢ ص٧
٥) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية ج١ ص ١٥
٦) هيكل: تراجم مصرية ص١٠
٧) هيكل: تراجم مصرية ص٢٤
٨) هيكل: شرق وغرب ص٢٠٨

للزعيمين روزفلت وتشرشل بعد الحرب العالمية الثانية الذين نصوا في المواثيق الحديثة على احترام الحرية وخاصة حرية الرأي[١].

ويقرر هيكل أن الحرية قد تحققت في بلادنا وأصبحت حرية الرأي والفكر والبحث عن الحقيقة من الأمور البديهية[٢]، لكن هذا ما يعترض عليه الكثيرون فقد أظهر (حسن حنفي) أن الجو العام يعمل على إجهاض العقول وبأن هناك مخططًا من الداخل والخارج ضد الحرية[٣].

وأخيرًا، ما هو موقع الحرية في حياة هيكل، وهل كان أديبًا وسياسيًا حرًا؟

يمكن لنا أن نقول إن الدكتور هيكل كان ذا شغف كبير بالحرية وقد ذكر لنا أن هذا الشغف بالحرية قد أتى إليه من ذلك الغرب الحرّ، وذلك في سفرته الأولى إلى باريس ومنذ أول يوم هناك رأي الحرية متجسدة أمامه وبكل قوة؛ حيث صادف وصوله باريس عيد الحرية ١٣ يوليو مما أثر في نفسه حين رأى حرية الأفراد والوطن مجتمعين أمامه[٤]، ويومًا بعد يوم في باريس ازداد هيكل إيمانًا بحرية الرأي والعقيدة وكراهية التعصب، وأن أول واجب هو البحث عن الحقيقة[٥]، ويصرح بأنه يحب الحضارة الغربية لأنها قائمة على أساس حرية الرأي[٦]، ويزعم هيكل أنه وكل الذين تعلموا في فرنسا يرون الرأي الحر علامة الحياة والجمود علامة الموت[٧]، ويعلل إعجابه بالدراسات العليا في فرنسا بكونها تقوم على البحث الحر[٨]، ويوضح لنا هيكل أنه متأثر بمقولة الروائي الفرنسي أناتول فرانس : إن كل قانون يحد من حرية الرأي والتعبير عنه قانون آثم[٩]، وكثيرًا ما كان يروي أحاديث جلسائه من الفرنسيين حول حرية الاعتقاد وحرية التفكير[١٠].

---

١) هيكل: الإمبراطورية الإسلامية ص ٩٤

٢) هيكل: الشرق الجديد ص ١١٤

٣) حسن حنفي: دراسات فلسفية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص١٨

٤) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، ج ١ ص ٣٦

٥) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، ج ١ ص ٢٦وما بعدها

٦) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، ج ١ ص ١٢٣

٧) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، ج١ ص ١٥٩

٨) هيكل: شرق وغرب، ص ٢٠٣

٩) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، ج١ ص ٣٤٨

١٠) هيكل: مذكرات الشباب، ص ١١٠

إذن الحرية الغربية وخاصة في فرنسا هي المصدر الأول لفكرة الحرية عند الدكتور هيكل بعد أن شاهدها مجسدة في فرنسا وأيقن أن هذه الحضارة الجديدة هي ثمرة تلك الحرية.

وعندما عاد هيكل إلى مصر وضع الحرية نصب عينيه بعد أن تملكت عقله وروحه فجعلها أساسًا لكل أفعاله، حيث كانت البداية للعمل السياسي له حين اشترك في تأسيس الحزب الديمقراطي القائم على مبادئ الحرية والعدل وميله إلى جانب الحرية الفردية[١]، ثم انضم هيكل لحزب الأحرار الدستوريين لإعجابه بمبادئ الحزب الخاصة باحترام الحرية الفردية وحرية الرأي[٢]، ودافع هيكل عن علي عبد الرازق دفاعًا عن حرية الرأي[٣]، كذلك انضم هيكل إلى الجمعية التي تتصدى لحملات التبشير في مصر حرصًا على حرية الرأي[٤].

لقد أعلن هيكل كثيرًا أنه يقدس الحرية الفردية وأن حرية الرأي تحل في نفسه محل الإيمان الذي لا يتزعزع[٥]، وهو يقول:" أؤمن بحرية الرأي عن عقيدة ويقين ولهذا أحترم كل رأي وإن خالف رأيي"[٦]، ويفخر بأنه يقدس حرية البشر ويرى أن أكرم حرية إنسانية هي حرية الرأي والتعبير عنه[٧]، وعندما وصل هيكل إلى رئاسة مجلس الشيوخ أعلن من منصة الشيوخ أنه يدافع عن حرية الصحافة[٨]، فقد كان يؤمن بأن رئيس مجلس الشيوخ هو المشرف على الدستور والحرية في البلاد[٩]، ولا ننسى أنه شارك في الكتاب الموجه للملك فاروق من القوى السياسية لمطالبته الالتزام بالدستور وتحقيق الحريات ومحاربة الفساد[١٠]، وكثيرًا ما رفض المشاركة في بعض الوزارات لأنها لا تتفق مع الحياة الحرة التي عاشها طوال عمره[١١].

---

١) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، ج ١ ص ٦٩
٢) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية: ج١ ص ١٢٣
٣) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية:ج١ ص ١٩٦
٤) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية:ج١ ص ٢٧٢
٥) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية :ج١ ص ١٢٣
٦) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية:ج١ ص ١٩٥
٧) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية:ج١ ص ٣٤٧
٨) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية :ج٢ ص ٢٧٢
٩) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، ج٣ ص ١٩٧
١٠) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية:ج٢ ص ٣٠٢
١١) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية :ج٢ ص ١٦١

لكن ربما غلبته السياسة يومًا فضحى بهذه الحرية، حيث نجده يقوم بتأييد محمد محمود باشا في إيقاف الحياة النيابية[١]!!، وقد يضحي بحرية الرأي والمناقشة أيضا ولكن تورّعًا وخوفًا على مناسك الحج حين جالس بعض المكيين الذين أخذوا يتجادلون في حكمة الحج أمام هيكل لعلمهم أنه كان حريصًا على حرية التفكير لكنه لم يشترك معهم في عذا النقاش مراعاة لحرمة الحج[٢].

لكن هذا لا يجعلنا نتراجع عن التأكيد على أن الدكتور هيكل كان يعشق الحرية ويناهض كثيرًا من أجلها حتى إن ابنه يصفه بأنه ليبرالي يصدر في كل أعماله عن ايمان راسخ بالحرية[٣]، وهيكل نفسه قد أوضح أن القراءة والتفكير الحر أحب الأشياء الى نفسه[٤]، وأنه لا يتقيد في تفكيره الا بما قررته الطريقة العلمية ولا يؤمن إلا بما يطمئن اليه قلبه وعقله[٥]، ولكن إسماعيل أدهم ينكر هذه الدعوى العريضة لهيكل فيرى أن هيكل لم يلتزم الطريقة العلمية في كتابته للتاريخ وذلك في كتابه (حياة محمد)، والطريقة العلمية في كتابة التاريخ في رأي إسماعيل أدهم هي الطريقة التحليلية التي تُرجع الأحداث إلى عللها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وإنما اتبع هيكل في رأيه الطريقة التقريرية القديمة[٦].

ولكننا نجد طه حسين والذي كان صديقًا لهيكل يقول في تأبينه في الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية: إنه كان كاتبًا حرًا بأوسع معاني هذه الكلمة وكان أديبًا حرًا بأوسع معاني حرية الأدب[٧].

وهذا ما يؤكده أيضًا (العروي) فهو يؤكد هذه الالتزام الذي تميز به هيكل تجاه الحرية والطريقة العلمية، وأن ذلك اتضح في عرضه مذهب رسو في السياسية والتربية وكذلك في وصفه للعاطفة المتحررة في رواية زينب وأيضًا في تأويلاته الشخصية للسيرة النبوية[٨].

---

١) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية :ج١ ص ٢٤٣
٢) هيكل: في منزل الوحي ٩٩
٣) هيكل: مذكرات في السياسة المصرية :ج٣ ص ٧
٤) هيكل: مذكرات الشباب: ص ٣٣٢
٥) هيكل: في منزل الوحي ص١٢
٦) إسماعيل أدهم: الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، قضايا ومناقشات، تحرير وتقديم أحمد إبراهيم الهواري، دار المعارف،١٩٨٦م، ص ٤٢٣ وما بعدها
٧) طه حسين: المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل، مجمع اللغة العربية، المجلد١٣، ١٩٦١، ص٢٩٣
٨) العروي: مفهوم الحرية، ص٦٦

الخاتمة:

في ختام هذا البحث يمكن لنا أن نذكر بعض النتائج:

١ – حدث تطور لمفهوم الحرية عبر العصور فأصبحت حديثًا تنصب على تحرر الفرد والجماعة اجتماعيًا وعقليًا وسياسيًا، وقد تبدى الفهم الدقيق عند هيكل لحقيقة الحرية وشروطها.

٢ – نظر هيكل لأهمية الحرية نظرة مثاليةً حيث أرجع إليها الفضل في قوة الإيمان وتقدم العلم وازدهار الحضارة وتحقق الأمن والسلام والسعادة.

٣ – تُعدُّ الحرية العقلية هي أهم ما ركزّ عليه هيكل في حديثه عن الحرية ويرجع ذلك لكونها صاحبة الفضل في نهضة المسلمين قديما والغرب حديثًا، وبغيابها في العصور المتأخرة تراجع المسلمون.

٤ – أثبت هيكل أن الحرية قيمة جوهرية في الإسلام وأن المسلمين قديمًا اتخذوها أساسًا لنظمهم السياسية والفكرية مما ساهم في نهضتهم، ولكن تغير النظام الإسلامي إلى الاستبداد وكذلك عمل الأعداء في تحويل المسلمين إلى النزعة المادية ساهم في جمود العقلية الإسلامية.

٥ – قدّم هيكل بعض الانتقادات للحرية الغربية فهي مادية وفردية في جوهرها، مما يجعلها ناقصة لا تُحقّق السعادة للإنسان بل تنتج عنها مشاكل وأزمات ملازمة لها.

٦ – دافع هيكل عن قدرة المصريين على التحرر والنهضة وهو بذلك يعد مفكرًا إيجابيًا واثقًا في نفسه ووطنه، ويقدم الأمل ويعطي طاقة إيجابية تحثنا على السعي وبثقة نحو الحرية والنهضة.

٧ – تبين التزام هيكل بالحرية في كتاباته وممارساته السياسية، مما يؤكد توحّده مع أفكاره وتمثّله لقيمة في حياته العامة والأدبية وهذه هي المصداقية التي تجعل من كتاباته قوة دافعة نحو الحرية الحقيقية.

٨ – ظهرت بعض التناقضات في أفكار هيكل في تبنيه للجبرية العلمية ودعوته للحرية، وكذلك إصراره على التقارب بين الإسلام والحضارة الغربية ثم تأكيده في مواضع أخرى على الاختلاف الجوهري بينهما.

مصادر ومراجع البحث

أولَا: مؤلفات محمد حسين هيكل:

١ - الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة، دار الهلال

٢ - الإيمان والمعرفة والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية

٣ - الشرق الجديد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة مخيمر، القاهرة

٤ - الصديق أبو بكر، طبعة مدرسية مختصرة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، وزارة التربية والتعليم

٥ - الفاروق، دار المعارف، القاهرة، الطبعة العاشرة

٦ - تراجم مصرية وعربية، دار المعارف

٧ - ثورة الأدب، دار المعارف، القاهرة

٨ - جان جاك رسو حياته وكتبه، دار المعارف، ٢٠٠٩م

٩ - حياة محمد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة عشرة.

١٠ - شرق وغرب، دار الهلال، ١٩٩٤م

١١ - عثمان بن عفان، دار المعارف، دت.

١٢ - في أوقات الفراغ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، د ت.

١٣ - في منزل الوحي، دار المعارف، الطبعة الثانية

١٤ - مذكرات الشباب، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٦م

١٥ - مذكرات في السياسة المصرية، في ثلاثة أجزاء، دار المعارف، الطبعة الثانية

١٦ - ولدي، دار المعارف، الطبعة الرابعة

ثانيا: المراجع:

١ – أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

٢ - أحمد أمين: يوم الإسلام، مكتبة النهضة المصرية

٣ - إريك فروم: الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م

٤- اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة: ترجمة حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٥

٥ - إسماعيل أدهم: الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، قضايا ومناقشات، تحرير وتقديم أحمد إبراهيم الهواري، دار المعارف،١٩٨٦م

٦ - أندريه لا لاند: موسوعة لا لاند الفلسفية، (مادة حرية Liberte) تعريب أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط٢،٢٠٠١م المجلد الثاني
٧ - جون ستيوارت مل: حول الحرية، طبعة هيئة قصور الثقافة، ٢٠١٢م
٨ - جون لوك: رسالة في التسامح، ترجمة منى أبو سنة، الناشر المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ١٩٩٧م
٩ - حسن حنفي: دراسات فلسفية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة
١٠ - جان جاك رسو: العقد الاجتماعي، ترجمة عال زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٣
١١ - قسطنطين زريق: في معركة الحضارة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة١٩٨١م
١٢ - زكريا إبراهيم: مشكلة الحرية، مكتبة مصر، الطبعة الثالثة،١٩٧٢م
١٣ - طه حسين: المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل، مجمع اللغة العربية، المجلد١٣، ١٩٦١
١٤ - رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م
١٥ - عبد الله العروي: مفهوم الحرية، المكتب الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢٠١٥،٥م
١٦ - مجمع اللغة العربية: القاموس الفلسفي، (مادة حرية) الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة،١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م
١٧ - محمد الجوهري: النظام السياسي الإسلامي والفكر الليبرالي، دار الفكر العربي
١٨ - محمد عبده: الأعمال الكاملة، الجزء الثالث (الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات) تحقيق وتقديم محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م.
١٩ - محمد عبده: رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٤م
٢٠- زكي نجيب محمود: عن الحرية أتحدث، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م
٢١ - مونتسكيو: روح الشرائع، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، مصر١٩٥٣،ج١

٢٢ - نعوم تشومسكي: غريزة الحرية، مقالات في الفلسفة والفوضوية والطبيعة البشرية، ترجمة عدي الزغبي، ط١، ٢٠١٧م، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق
٢٣ - ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الأخير من المجلد التاسع،٣٨، ترجمة محمد على أبو درة، دار الجيل، بيروت، لبنان
٢٤ - ول ديورانت: مباهج الفلسفة، الكتاب الثاني: ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، المركز القومي للترجمة، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،٢٠١٥م